مذهب الفراء

من شيخه الكسائيّ

دكتور

عبد اللطيف محمد محمد داود

الأستاذ المساعد بقسم اللغويات

بكلية اللغة العربية بإيتاى البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع الدرجات لِمَنْ انخفض لجلاله ، وفاتح البركـــات لِمَـــنْ انتصب لشكر إفضاله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمـــد عبد الله ورسوله ، المفرد العلم والإمام المُتَّبَعُ ، اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عليه وعلى آله وأصحابه ما رفعت مَنْصِبَ المنخفض لجلالك وجبرت بالســـكون إليـــك كسر الجازم بوحدتك فى ذاتك وصفاتك وأفعالك صـــلاةً وســـلامًا دائمـــين متلازمين عَدَدَ مَنْ صلَّى عليه وَعَدَدَ مَنْ لم يُصلِ غليه ما دامـــت السَّـــمَوَاتُ والأرض .

أمَّا بَعْـــدُ

فهذا بحث نَحْوِىُّ يتناول " موقف الفراء من شيخه الكسائِىِّ " فَعَلِيُّ بن حمزة الكسائيّ ، هو المؤسس الأول لمدرسة النحو بالكوفة وقد تأثر الفـــراء بمنهجه في دراسة النحو فظهرت النزعة الكوفية واضحة في كتابة (معاني القرآن) ومن مظاهرها الروايات الكثيرة التي كان الفـــراء يرويهـــا عـــن الكسائيِّ ومعظمها يتعلق باللغويات والأشعار فضلاً عَمَّا عُنِىَ به الفراء مـــن رواية اللغة ، وصناعة الإعراب ، اهتم الفراء بتفسير القرآن الكريم وبيـــان معانيه وإعراب ما يشكل إعرابه من آياته ورواية أحرفه ، وقد أخذ الفـــراء بعض هذه الأحرف عن الكسائِىِّ فقد روى الفراء قراءات كثيرة عن الكسائِىِّ ثم وجهها مستحسناً قراءتين للكسائِىِّ ، وروى الفراء أيضاً قـــراءات عنـــه لكنه لم يوجهها ، وللكسائيِّ آراء نحوية نقلها عنه الفراء ولم يعقـــب عليهـــا، ولسوف يأتي تفصيل ذاك الإجمال مدعوماً بأدلته في ترجمة الفراء بعون الله تعالى .

بيد أنّى رأيت الفراء يستهجن أحياناً رأي الكسائِيّ فى النحو ، صَـرَّح الفراء بذلك مِرَارًا في (معاني القرآن) وأيضاً نقل البغداديّ عن أبي حيـان الأندلسيّ أنَّ الفراء خَطَّأ الكسِائيّ في مسألة نحويه (١) .

بل نقل عن الفراء أنه قال : " مات الكسائِيُّ وهو لا يحسن حَـدَّ نِعْـمَ وَبِئْسَ وَلاَ حَدَّ أَنَّ المفتوحة ولا حَدَّ الحكاية " (٢) .

بل قال الفراء – فيما نقل عنه – : " إِنَّما تَعَلَّمَ الكِسَائِيُّ النحـو علـى كِبَرٍ " (٣) .

وهذا الهمز واللمز فيه ما فيه من الاستخفاف بالكسائيّ ، وقد انتخبـت من (معانى القرآن) للفراء إحدى عشرة مسألة عقَّب فيها الفراء على رأي الكسائيّ ، وكانت عبارات الفراء في تعقيبه قاسية أحياناً مثل قوله : " لـيس ذلك بشئ " (٤) و " قد قال فيه الكسائى قوْلاً لاَ أراه شيئاً " (٥) و " ليس ذلك

---

(١) انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ / عبد القادر بن عمر البغـداديّ ٩٨/٢ ، طبع بولاق بالقاهرة سنة تسع وتسعين ومائتين وألف من الهجرة ، نشر دار صادر بيروت .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٨٥/١٣ – طبـع دار الفكـر ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ / جلال الدين عبد الـرحمن السيوطيّ تح أ / محمد أبو الفضل إبراهيم ١٦٣/٢ نشر المكتبة العصرية بيـروت ، وطبقات المفسرين للداودى تح أ / على محمد عمر ص ٤٠٠ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد للحافظ / أبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ٤٠٤/١١ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير جمال الـدين أبى الحسن على بن يوسف القفطي ٢٥٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ طبع دار الفكر العربـيّ بالقاهرة .

(٤) انظر : معانيْ القرآن ٣١٧/١ .

(٥) انظر : معانيْ القرآن ٢٩٩/٣ .

كما قال ... " (١) و " أخالفه أَشَدَّ الخلاف " (٢) و" لم أرَ ذلك عند العرب "(٣) و " جاء التفسير بغير ذلك " (٤) وهذه العبارات التى جرت على لسان الفراء لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه وليس من غرضيْ أنْ أوجه نقداً للكسائيّ من خلال الفراء ، ولكن هدفي من هذا البحث هو وقفة مع الفراء لبيان موقفه من شيخه الكسائيّ ، فقد رأيت الفراء ينقل عنه كثيراً من اللغويات والأشعار والقراءات راضياً عَمَّا ينقله بل كان يعتد برأيه أحياناً ، ومرة أخرى كان الفراء يقف من شيخه الكسائيّ موقفَ المناقش المعقب على آرائه ، فللفراء موقفان :

الموقف الأول : متابعة الفراء لمنهج الكسائيّ فى دراسة النحو فظهرت النزعة الكوفية واضحة فى كتابه (معانى القرآن) وهذا يدل على شدة تأثير الكسائى فى الفراء وهذا الإجمال سيأتى بيانه عَمَّا قريب .

الموقف الثانى : مخالفة الفراء للكسائى فى آرائه ، بل تجاوز الفراء حَدَّ المخالفة إلى التعقيب عليه .

وليس من هَدَفِ الفراء – فيما يظهر ليْ – تصيد الأخطاء للكسائىّ والتعقيب عليه ، بل كان هدفه بيان الوجه الصائب – من وجهة نظره – فى مسائل وثيقة الصلة بتفسير القرآن الكريم وضبط أحرفه وإعراب كلماته ومن هذا المنطلق جاءت تعاليق الفراء على الكسائى ، لكن الفراء لم يكن مُحِقًّا دائماً في تعقيباته ، بل كان أحياناً حاد المزاج فى بعضها ، وقد ظفرت فى

---

(١) انظر : معانيْ القرآن ٤٢٢/١ .
(٢) انظر : معانيْ القرآن ١٣٢/٢ .
(٣) انظر : معانيْ القرآن ٢٩/١ .
(٤) انظر : معانيْ القرآن ٣١٢/١ .

(معانى القرآن) على إحدى عشرة مسألة نحوية عقَّب فيها الفراء على الكسائيّ .

هذا ولا أنفى أنْ يكون بالبحث هفوات وسقطات فالجواد يكبو ، والصارم قد ينبو ، والنار قد تخبو ، والإنسان محل النقص والسهو والنسيان ولا يسلم من الخطأ إلاّ كلام الله جلَّ وعزَّ وحديث نبيه المعصوم سيدنا محمد بن عبد الله – ﷺ – ولهذا قال الله تنبيها على ذلك وتذكيراً بقوله جلَّ جلاله : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

ويجمل بِيْ أنْ أستهل البحث بتعريف موجز بالكسائيّ ثم بالفراء ، ثُمَّ أُبَيِّنُ موقف الفراء من الكسائِيّ ، ثم أدلف إلى المسائل الإحدى عشرة التي عقب فيها الفراء على الكسائيّ ، فَإِنْ أَكُنْ قد وفقت فبالله التوفيق ، وإِنْ كانت الأخرى فحسبي أنِّي لم آل جُهْدًا ولم أدخر وُسْعًا في أنْ أضيف إلى المكتبة العربية جديداً لم يطرق على الصورة التى أوردتها ، وقديماً قيل : " اُتْرُكِ المَطْرُوقَ وَاطْرُقِ المَتْرُوكَ " .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢) .

الباحث

دكتور

عبد اللطيف محمد محمد داود

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٨٢ .

(٢) سورة هود من الآية رقم ٨٨ .

الكســـائِيُّ

اسمه ولقبه :

هو أبو الحسن عَلِيُّ بن حمزة بن عبد الله بن بَهْمَنَ بن فيروز مـــولى بنى أسد النحويّ أحد أئمة القُرَّاء السبعة ، وهو من أولاد الفرس من ســـواد العراق (١) دخل الكوفة وهو غلام ، ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها ثـــم طاف بالبلاد ، واستوطن بغداد فيما بعد حين استقدمه الخليفة المَهْدِيُّ ليســـأله عن فِعْلِ الأمر من السِوَاكِ فقال له الكسائِيُّ : سُكْ يا أمير المؤمنين ، فقال له الخليفة : أَحْسَنْتَ وأَصَبْتَ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ومنذ ذلـــك الحـــين صار الكسائِيُّ مؤدِبًا للرشيد (٢) .

أمَّا سبب تلقيبه بالكسائِيِّ فقد ذكر الخطيب البغداديّ (٣) بإسنادٍ رفعـــه إلى عبد الرحيم بن موسى قال : قُلْتُ للكسائِيِّ : لِمَ سُمِّيْتَ الكسائِيَّ ؟ قـــال : لأنِّيْ أحرمت فى كساءٍ ، وذكر غير الخطيب البغدادِيِّ أقوالاً أُخَرَ في ســـبب تلقيبه بالكسائِيِّ (٤) .

---

(١) انظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تح أ / محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/٢٥٦، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريّ ١/٥٣٥ ، ومعجـــم الأدبـــاء لياقوت الحمويّ ١٣/١٦٧ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ ١١/٤٠٦ نشـــر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ١١/٤٠٤ ، ٤٠٥ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيـــدى تـــح أ/محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٢٨ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

(٤) انظر : مقدمة تحقيق (ما تلحن فيه العامة للكسائيّ) للدكتور / رمضان عبد التـــواب ص ٥-١٠ طبع المدني بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٢م .

شيوخـــه :

تتلمذ الكسائِيُّ على أيديْ شيوخ أجلاء فِيْ القراءة والنحو ، أمَّا شيوخه فِيْ القراءة فحمزة بن حبيب الزيات أخذ الكسائِيُّ القراءة عنه عَرْضًا أربـــع مرات وعليه اعتماده (١)، كما روى الحروف أيضاً عن محمد بن أبى ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني ، وأبي بكر بن عياش وغيرهم (٢) ، وكان أكثـــر اعتماده على حمزة ثم خلفه في رياسة الإقراء ، فأقرأ ببغداد زمانًـــا بقـــراءة حمزة ، ثم آختار لنفسه قراءة ، فأقرأ بها الناس وقرأ عليه خلق كثير ببغـــداد والرقة وغيرهما من البلاد وحفظت عنه (٣) .

أمَّا شيوخه فِيْ النحو فمعاذ بن مسلم الهراء ، وأبو جعفر الرؤاسى من الكوفيين وعيسى بن عمر الثقفيْ ، والخليل بن أحمد الفراهيدىّ وسعيد بـــن مسعدة الأخفش الأوسط ، ويونس بن حبيب الضبيّ من البصريين وغيـــرهم كثير (٤) .

تلاميـــذه :

للكسائيّ تلاميذ في القراءة والنحو كثيرون منهم أبو عبيد القاســـم بـــن سلام ، وحفص بن عمر الدُّوْرِيّ النحوِيّ صاحب اليزيديْ ، ويحيى بن زياد

---

(١) انظر : غاية النهاية فِيْ طبقات القُرَّاء لابن الجزريّ ١/٥٣٥ تح برجشتراسر – نشر مكتبة المتنبى بالقاهرة .

(٢) انظر : غاية النهاية ١/٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/٤٠٣ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء ١/٥٣٧ ، ٥٣٨، ٥٣٩.

(٤) انظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغـــة والنحـــو د / مهـــدى المخزومـــى ص١٠٦ طبع الحلبيْ الطبعة الثانية ١٣٧٧هـــ - ١٩٥٨م ومقدمة (ما تلحـــن فيـــه العامة للكسائي) د / رمضان عبد التواب ص ٢٢-٢٦ طبع المدنيْ بمصر الطبعـــة الأولى ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٢م .

الفراء وهشام بن معاوية أبو عبد الله الضرير الكوفيٌ النحـــويٌ ، ويعقـــوب الحضرميّ ومحمد بن سعدان وغيرهم كثير (١) .

أخلاقـــه :

كان الكسائِيُّ – رحمه الله – فصيح اللسان لا يفطن لكماله ولا يخيـــل إليك أنه يعرب وهو يعرب ، كما كان لَبِقًا ذَكِيًّا أريبا استطاع بذكائه ودهائـــه أنْ يستولي على قلب الخليفة هارون الرشيد حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين(٢) ، فقد حَدَّث المؤرخون أنَّ قَاضِيَ القضاة أبا يوسف دخل يومًا على الرشيد والكسائِيُّ عنده يمازحه ، فقال له أبو يوسف : هذا الكوفيُّ قد استفرغك وغلب عليك ، فقال هارون الرشيد يا أبا يوسف إنَّهُ ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي (٣) .

كما أنه استمال الأخفش الأوسط واستطاع أنْ يكسر حِدَّتَهُ فضمه إلـــى كنفه وأغدق عليه المال وجعله مؤدِبَ أولاده ، وقرأ الكسائِيُّ عليـــه كتـــاب سيبويه سِرًا ، فوهب له الكسائِيُّ سبعين دينارًا (٤) ، فنسى الأخفشُ ما كـــان وفد من أجله وهو الانتقام لشيخه سيبويه من الكسائى الذي ظَفِـــرَ بِـــهِ فـــيْ

---

(١) انظر : غاية النهاية فى طبقات القراء ٥٣٦/١ ، ٥٣٧ ، ومقدمة (ما تلحن فيه العامة للكسائى ص ٢٧ – ٣٧ .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٦٨/١٣ .

(٣) انظر : طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدىّ الأندلســـىّ ت أ/محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٢٧ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٣م .

(٤) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٢٧/١١ – ٢٢٩ .

المناظرة المشهورة بالمسألة الزنبورية (١) دون وجه حق فيْ نظر الأخفش والبصريين وكثير من الباحثين .

كما أنَهُ استمال الفراء بكتاب رقيق بعث به إليه مع الإجابة الصحيحة عن المسائل التى كان الفراء قد تَعَنَّتَهُ بها ، فأخطأ فيها الكسائىُّ ، فَلَمَّا ذهب الكسائِىُّ إلى داره أرسل إليه الإجابة الصحيحة والعتاب ، فكان هذا العتاب الرقيق سبب ملازمة الفراء إيَّاهُ (٢) .

وكان الكسائِيّ أَيْضًا وَرِعًا صَدُوقًا يتحرج من الكذب حَدَّثَ الفراءُ قال : لَقِيْتُ الكسائِىَّ يومًا فرأيته كالباكيْ ، فقلت له : مَا يُبْكِيْكَ ؟ فقال : هذا الملك يحيى بن خالد يوجه إلىَّ فيحضرنيْ فيسألنيْ عن الشيء ، فَإِنْ أَبطأت فِيْ الجواب لحقني منه عتب ، وإِنْ بادرت لم آمن الزلل ، قال : فقلت له مُمْتَحِنًا : يا أبا الحسن مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ ؟ قُلْ ما شئت فأنتَ الكسائِىُّ ، فأخذ لسانه بيده فقال : قطعه الله إِذَنْ إِنْ قُلْتُ ما لا أَعْلَمُ (٣) .

كما كان الكسائِيّ– رحمه الله – ذَرِبَ اللسَانِ على منافسيه من العلماء يروى أنه زجر الأصمعِىَ بحضرة الرشيد حين راجعه فيْ إنشاده لقول أُفْنُونَ التغلبّى :

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِىْ العَلُوْقُ بِهِ ** رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

---

(١) راجع هذه المسألة فيْ : الإنصاف فيْ مسائل الخلاف لأبيْ البركات الأنباريْ ٧٠٢/٢ – ٦٠٧ ومجالس العلماء للزجاجي ت أ / عبد السلام محمد هارون ص ٩ ، ١٠ طبع المدنيْ بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ومغنيْ اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاريّ ٨٠/١ – ٨٤ طبع الحلبيْ .

(٢) انظر : مجالس العلماء للزجاجيّ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٤١١/١١ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيْ ٢٦٦/٢ .

فقال الأصمعيُّ : رِئْمَانُ بالرفع ، فقال له الكسائِيُّ : أُسْكُتْ ما أنتَ وهذا ؟ يجوز رِئْمَانًا وَرِئْمَانٌ وَرِئْمَانٍ (١) .

ويروى أبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح قال : قال اليزيدِيُّ للكسائِيِّ يا أبا الحسن : أمور تبلغنا عنك وحكايات تتصل بنا يُنْكَرُ بَعْضُهَا ! فقال له الكسائِيُّ : أوَ مِثْلِيْ يخاطب بهذا وهل مع العالم من العربية إلاَّ فضل بصاقيْ هذا ثم بصق فسكتَ اليزيديُّ (٢) .

كما كان الكسائِيُّ – رحمه الله تعالى – متواضِعًا يحبُّ أنْ يَقْضِيَ حوائجه بنفسه فقد رُوِيَ أنَّهُ كان مع الأمين والمأمون يؤدبهما فأشرف عليه الرشيد – وهو لا يراه – فقام الكسائِيُّ ليلبس نعليه لحاجة يريدها ، فابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه ، فَقَبَّلَ رُءُوْسَهُمَا ثم أقسم عليهما ألاَّ يعاودا ، فَلَمَّا جلس الرشيد مجلسه قال : أيُّ الناس أكْرَمُ خَادمًا ؟ قالوا : أمير المؤمنين أعزه الله ! قال : لَا بَلْ الكسائِيُّ يخدمه الأمين والمأمون وحَدَّثَهُمْ الحديثَ (٣) .

---

(١) انظر : مجالس العلماء للزجاجي ص ٣٥ ، ٣٦ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٨٣/١٣ ، ١٨٤ وخزانة الأدب لعبد القادر البغداديّ ٤٥٨/٤ ، ٤٥٩ طبع دار صادر بيروت بلبنان .

(٢) انظر : القصة فيْ تاريخ بغداد ٤٠٩/١١ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيْ ٢٤٦/٢ ، وغاية النهاية فيْ طبقات القراء لابن الجزريّ ٥٣٩/١ .

(٣) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٩٣/١٣ .

مؤلفاتـــه :

رحل الكسائِيُّ عن الحياة الدنيا تَارِكًا وراءه اثنين وعشرين كتابًـــا ([1]) فيْ النحو واللغة والقراءات ، ولكن عواديْ الزمن أتت عليها ولم يصل إلينـــا منها إلا كتاب (ما تلحن فيه العامة) وإنْ كان بعض الباحثين يشكك ([2]) فيْ نسبة هذا الكتاب إلى الكسائِيّ .

وفاتـــــه :

اختلف فيْ تاريخ وفاته وأرجح الأقوال ([3]) أنَّ الكســـائِيَّ مـــات سنة ١٨٩هـــ .

قال ابن الجزريّ : " اختلف فِيْ تاريخ وفاته فالصحيح الذيْ أَرَّخَهُ غير وَاحِدٍ من العلماءِ الحُفَّاظِ سنة تسع وثمانين ومائة بصحبة هـــارون الرشـــيد بقرية رنبويه من عمل الريّ متوجهين إلى خرسان ومـــات معـــه بالمكـــان المذكور محمد بن الحسن القاضيْ صاحب أبيْ حنيفة ، فقال الرشيد : دفنـــا الفقه والنحو بالرِيّ ... قال الحافظ أبو العلا الهمذانيّ : وبلغنيْ أنَّ الكســـائِيّ عاش سبعين سنة ([4]) " أهـــ .

([1]) انظر : مقدمة (ما تلحن فيه العامـــة للكســـائِيّ) ت د / رمضـــان عبـــد التـــواب ص ٦٢ – ٦٨ .

([2]) انظر : المرجع السابق ص ٦٩ – ٧١ .

([3]) حقق الدكتور / رمضان عبد التواب فِيْ مقدمة تحقيقه لكتاب (ما تلحن فيـــه العامـــة للكسائِيّ) ص ٣٩ – ٤٩ تاريخ وفاة الكسائِيّ ورجح أنه توفى سنة ١٨٩هـــ .

([4]) انظر : غاية النهاية فيْ طبقات القُرَّاءْ لابن الجزريّ ١/٥٣٩ ، ٥٤٠ .

الفـــــراء

نسبـــه :

هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الكوفيٌ مولى بنى أسَدٍ المعروف بالفراء أبى زكريًا (١) .

لقبـــه :

لقب يحيى بن زياد بالفراء لِأَنَّهُ كان يفرى الكلام ، أَيْ يحسن تقطيعـــه وتفصيله فهو فَعَّالٌ من الفَرْيِ صيغة مبالغة (٢) ، وقال بعضهم : سُمِّىَ فَرَّاءً لقطعه الخصوم بالمسائل التى يُعْنَتُ بها من قولهم: فَرَى إذا قطع ،قال زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِىْ مَا خَلَقْتَ وَبَعْـــــ ∴ ـــضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَ لاَ يَفْرِىْ

معناه : تُنَفِّذُ ما تعزم عليه وتُقَدِّرُهُ وهو مَثَلٌ (٣) .

ولا يعرفُ متى أطلق عليه هذا اللقب ، ولابُدَّ أَنَّهُ حين اكتمـــل وَبَـــدا نضجه وغلبته للخصوم (٤) .

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويٌ ٩/٢٠ ، ١٠ طبع دار الفكر ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ت د / إحسان عباس ١٧٦/٦ طبع دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م ، وأبو زكريا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة د / أحمد مكـــى الأنصـــاري ص ١٩-٤٦ فقد حقق د / الأنصارى نسب الفراء تحقيقاً فريداً ما أظنُ أحدًا يزيـــد عليه حرفا .

(٢) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨١/٦ ، ومقدمة معاني القرآن لأبي زكريًا يحيى بن زياد الفراءت أ / محمد على النجار والأستاذ / يوسف نجاتي ٨/١ طبـــع عـــالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

(٣) انظر : لسان العرب مادة (ف ر ا) ٣٤٠٨/٥ - طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م .

(٤) انظر : مقدمة مَعَانِيْ القرآن ٨/١ .

ويرى أحد الباحثين المعاصرين أنَّ جَدَّ الفراء الأول قد لقب بهذا اللقب ومنه انحدر اللقب إلى أبِيْ زكريا (١) .

مولـــده :

ولد الفراء بالكوفة سنة أربع وأربعين (٢) ومائة من الهجرة ، ويبـــدو أنه نشأ بها نشأته الأولى كذلك ، وَظَلَّ بها حتى ظهرت مواهبه وَبَزَّ أقرانـــه فَلَقَّبُوهُ بالفراء ، لأَنَّهُ كان يفريْ الخصوم بالمسائل التيْ يعنت بها ، على مـــا يرى بعض المؤرخين ، وآية ذلك أنَّ شيوخه فيْ بواكير حياته العلميةْ كانوا جميعاً من أهل الكوفة ، ولَمَّا شَبَّ عن الطوق رحل إلى بغداد وجعل أكثـــر مقامه بها ، إِذْ كانت مَقَرًّا للخلافة ومطمع الأنظار يفد إليها العلماء والشعراء من كل صَوْبٍ وَحَدَبٍ يلتمسون فيها الحظوة والشهرة والمال وذلـــك حينمـــا استحثه شيخه الرؤاسيُّ قائلاً له : " قد خرج الكسائيُّ إلى بغداد وَأَنْتَ أَمْيَـــزُ مِنْهُ " وكان ذاك الخروج إلى بغداد سنة سبعين ومائة من الهجرة تقريباً (٣) .

شيوخـــه :

تتلمذ الفراء على شيوخ كثيرين منهم قيس بن الربيع (ت ١٦٥هـــ) ومندل بن عَلِيّ (ت ١٦٧هـ) وأبى بكر بن عَيَّاش (ت ١٩٢هـــ) وأبـــى جعفر الرؤاسيّ (توفى ١٩٠هـ) وعَلِيّ بن حمزة الكسائِيّ (ت ١٨٩هـ) ويونس بن حبيب الضبيّ البصريّ (ت ١٨٢هـ) وأخذ الفراء عن الراوية

---

(١) انظر : أبو زكريًا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغـــة د / أحمـــد مكِّـــيْ الأنصـــاريّ ، ص ٣٣ ، ٣٤ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٩٦٤م .

(٢) انظر : الأعلام لخير الدين الزركليْ ١٤٥/٨ طبع دار العلم للملايين بيروت الطبعـــة التاسعة سنة ١٩٩٠م وأبو زكريًا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة ص ٤٦-٤٩ .

(٣) انظر : أبو زكريًا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة ص ٤٦ – ٥٠ .

المشهور المفضل الضبيْ كذلك أخذ عن أعرب وثق بهم مثل أَبَــيْ الجــراح وَأبِيْ زياد الكلابيْ ، وقد عَدَّهُمَا ابن النديم فِيْ جملة الفصحاء ، كما أخذ عن أبي ثروان العكليّ وغيرهم من الأعراب لأَنَّهُ وجد عندهم مادة خصبة وفيرة من الشعر واللغة (١) ، ويفيض معانِيْ القرآن للفراء بذكر كثير من هــؤلاء الذين أخذ عنهم الفراء .

تلاميــذه :

للفراء تلاميذ كثيرون منهم جودِيُّ بن عثمان (٢) وأبو عبيد القاسم بن سلام (٣) ، وعمر بن بكير (٤) الذيْ أَلَّفَ له الفراء (معانِيْ القرآن) وأبــو محمد سلمة بن عاصم البغدادِيّ (٥) النحويّ أحد رواة الفراء لكتبه ، ومحمد ابن الجهم بن هارون السمريّ البغدادِيّ (٦) راوى كتاب (معــانِيْ القــرآن للفراء ، ومحمد بن عبد الله بن قادم (٧) النحوِيّ وغيرهم كثير .

أخلاقــه :

كان الفراء – رحمه الله تعالى – وَرِعًا مُتَدَيِّنًا بارًا بأهله وعشــيرته ، وَفِيًّا لأَشياخه حَفِيًّا بأصحابه ، عَفَّ اللسان سَمْحًا مُحَبَّبًا إلى النفوس كما كان

---

(١) انظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة ص ١٢٤ – ١٢٦ .

(٢) انظر : ترجمته فِيْ : بغية الوعاة للسيوطيّ ت أ / محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٤٩٠ طبع العصرية ببيروت .

(٣) انظر : ترجمته فِيْ : بغية الوعاة ٢/٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٤) انظر : ترجمته فِيْ معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٥/٢٦٢ – ٢٦٧ طبع دار الفكــر ببيروت وبغية الوعاة ٢/٢١٧ .

(٥) انظر : ترجمته فِيْ بغية الوعاة ١/٥٩٦ .

(٦) راجع ترجمته فِيْ غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزريّ ٢/١١٣ .

(٧) راجع ترجمته فِيْ بغية الوعاة للسيوطيّ ١/١٤٠ ، ١٤١ .

حَازِمًا صَارِمًا حين ينبغى الحزم ، له صدر رحب وقلب كبيـــر ، يتحـــرى الصدق فِيْ المودة والعداوة ، ويصون نفسه عن التبذل ويعرف لها حقها فِيْ الحياة الكريمة الحرة ، كما كان يتحلى بأخلاق العلماء فِيْ الرجوع إلى الحق مهما صغر مصدره (١) .

آثـــاره :

انتقل الفراء إلى جوار ربِّهِ تاركاً وراءه تسعة وعشرين كتابًـــا عـــدت عليها عوادى الدهر ولم يصل إلينا منها سوى أربعة كتب (٢) هي : الأيـــام والليالى والشهور ، والمقصور والممدود ، والمـــذكر والمؤنـــث ، ومعـــانِيْ القرآن .

وفاتـــه :

صعدت روح الفراء إلى بارئها سنة سبع ومائتين من الهجرة بطريـــق مكة أثناء عودته منها بعد أدائه فريضة الحج وعمره ثلاث وستون ســـنة (٣) رحمه الله .

ثقافة الفراء :

كان أبو زكريا الفراء – رحمه الله – واسع الثقافة متعـــدد الجوانـــب تعمق فِيْ القديم كما أفاد من الحديث فمزج بين الثقافـــة العربيـــة الخالصـــة والثقافات الحديثة الوافدة على الفكر العربيّ آنذاك يظهر ذلك من القصة التيْ حكاها ثمامة بن الأشرس – أحد أئمة المعتزلة – وكان بينه وبـــين الفـــراء

---

(١) انظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة ص ٥٧ – ٦٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٦٩ – ٢٠٤ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨١/٦ ، والأعلام لخير الدين الزركليْ ١٤٥/٨، وأبو زكريا الفراء ومذهبه فِيْ النحو واللغة ص ١٤٧ – ١٥٢ .

صحبة بدأت يوم تصدى الفراء للاتصال بالخليفة المأمون واختلف إلى بابه ، وَفِيْ يوم ما تَعَرَّضَ ثمامة بن الأشرس للفراء ، قال ثمامة : فرأيت له أُبَّهَةَ أديب فجلست إليه ففاتشته فِيْ اللغة فوجدته بحرًا ، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته فقيهًا عَارِفًا باختلاف القوم ، وَفِيْ النجوم ماهرًا وبالطب خبيرًا ، وبأَيَّامِ العرب وأشعارها حاذقًا ، فقلتُ : مَنْ تكُوْنُ ؟ وما أظنك إلاَّ الفراء ، قال : أنا هو ، فدخلت على أمير المؤمنين فَأَعْلَمْتُهُ فأمر بإحضاره لوقته فكان سبب اتصاله به (١) .

ويظهر من هذه القصة أَنَّ الفراء كان مُلِمًا بالثقافات التى كانت تموج فِيْ عصره الزاخر (عصر هارون الرشيد والمأمون ١٧٠هـ - ٢١٨هـ تقريبًا) والكوفة فِيْ ذانك العصرين كانت زاخرة بالعلم والعلماء ولهذا كانت بيئة خصبة لكل دارس جَادٍ كالفراء يلتقى بشيخ إِثْر شيخ فيأخذ من هذا وذاك كالنحلة الدائبة تنتقل من زهرة إلى زهرة ترشف من رحيق هذه وتلك ثم تحليه شرابًا له خصائصه المميزة فالفراء ارتوى من ألوان الثقافات المتعددة إلاَّ أنه كان أشبه بالمتخصص فِيْ علوم العربية ولاسِيَّمَا النحو واللغة ولهذا قيل فيه : " لولا الفراء ما كانت اللغة لأَنَّهُ حصلها وضبطها ، ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كُلُّ مَنْ أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب (٢) " أ هـ .

---

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أَبِيْ الفلاح عبد الحيّ ابن العماد الحنبليّ ١٩/٢ طبع دار المسيرة ببيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٩ - ١٩٧٩م ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأَبِيْ العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت د / إحسان عباس المجلد السادس ص ١٧٧ طبع دار الثقافة ببيروت لبنان .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١١/٢٠ .

وقد شَحَنَ الفراء حافظته بألوان من الثقافات كالثقافة الفقهية (١) والثقافة الفلكية (٢) وغيرهما مِمَّا فِيْ عصره من ثقافات .

موقف الفراء من الكسائِيَ :

للفراء فِيْ كتابه (معانِيْ القرآن) موقفان من الكسائِيِّ :

* **الموقف الأول** : متابعة الفراء لمنهج الكسائِيِّ فِيْ دراسة النحو فظهرت النزعة الكوفية واضحة فِيْ (معانِيْ القرآن) وهذا يدلنا على ما كان للكسائِيِّ من أثر فِيْ تكوين هذه النزعة ومن أمثلتها :

(أ) المبتدأ مرفوع بما يعود عليه من الضمير في جملة الخبر (٣) .

(ب) فعل الأمر أصله المضارع المجزوم باللام (٤) .

(ت) إِنْ ولَوْ يجابان بجواب واحد (٥) .

(ث) أصل اللَّهُمَّ : يَا أَللَّهُ أُمَّنَا بِخَيْرٍ (٦) .

(ج) أسماء الإشارة توصل كما توصل الأسماء الموصولة (٧) .

---

(١) تحدث الفراء فِيْ معانى القرآن (١٦٢/٣) فِيْ الآية رقم ١ .. من سورة الطلاق عن طلاق العدة وطلاق السنة ، وَفِيْ تفسير سورة الإنشقاق الآية رقم ١٦ تحدث عن خلاف الفقهاء الأحناف في الشفق أهو الحمرة ؟ أم هو البياض ؟ انظر : معانِيْ القرآن ٢٥١/٣ .

(٢) تحدث الفراء فِيْ تفسير سورة القيامة الآية رقم ٩ عن القمر حين يستمد ضوءه من الشمس انظر : معانِيْ القرآن ٢٠٩/٣ وتحدث الفراء – فِيْ سورة التكوير الآية رقم ١٥ – عن النجوم الخنس . انظر : معانِيْ القرآن ٢٤٢/٣ .

(٣) انظر : معانِيْ القرآن ٢٤٠/١ ، ٢٥٥/٢ ، ٣٠٢ ، ٤١٠ ، ٩/٣ ، ١٨٠ .

(٤) انظر : معانِيْ القرآن ٤٦٩/١ .

(٥) انظر : معانِيْ القرآن ٨٤/١ ، ١٤٣ ، ٣٧٠/٢ .

(٦) انظر : معانِيْ القرآن ٢٠٣/١ .

(٧) انظر : معانِيْ القرآن ١٣٨/١ ، ١٣٩ ، ١٧٧/٢ .

(د) يضاف الشئ إلى نفسه إذا اختلف لفظه (١) .

(ر) عامل النصب فِيْ الفعل المضارع المقترن بواو المعية المسبوقة بنفى أو طلب محضين هو الصرف أيْ الخلاف وهو مخالفة المعطوف للمعطوف عليه فِيْ المعنى فما قبل واو المعية نَفْي أو طلب وما بعدها خبر ، فَلَمَّا خالف ما بعد واو المعية ما قبلها فِيْ المعنى خالفه فِيْ الإعراب فنصب بهذه المخالفة ، وإنَّما حصل التخالف بينهما هنا لأنه طرأ على الواو معنى الجمعية ، وقد ألفيت الفراء يقول : إنَّ الصرف أيْ الخلاف هو عامل النصب فِيْ الفعل المضارع المقترن بواو الصرف – أيْ المعية – المسبوقة بِنَفْي أو طلب محضين فِيْ عشر آيات من الكتاب العزيز (٢) .

(هـ) عامل النصب فِيْ الفعل المضارع المقرون بفاء الجواب المسبوقة بِنَفْي أو طلب محضين هو الصرف ؛ أيْ مخالفة ما بعد الفاء لِمَا قبلها ، فما قبلها نَفْيُ أو طلب وما بعدها خبر فَلَمَّا خالفه فِيْ المعنى خالفه فِيْ الإعراب فنصب بهذه المخالفة ، وإنَّمَا حصل التخالف بينهما لأَنَّه طرأ على الفاء معنى السببية ، وقد وجدت الفراء يقول : إنَّ عامل النصب فِيْ الفعل المضارع المقترن بفاء الجواب الصرف أيْ الخلاف فِيْ سبع عشرة آية من الذكر الحكيم (٣) .

---

(١) انظر : معانِيْ القرآن ٣٣٠/١ ، ٣٣١ ، ٥٥/٢ ، ٥٦ ، ٤١/٣ ، ٧٦ ، ١٠٩ .

(٢) انظر : معانِيْ القرآن ٣٣/١ ، ٣٤ ، ١٥٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٩٢ ، ٣٩١ ، ٤٠٨ ، ٢٦٣/٢ ، ٢٤/٣ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) انظر : معانِيْ القرآن ٢٦/١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٦ ، ١٥٧ ، ٢٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٢٢٩/٢ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٣٨٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٩/٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ .

(و) إذا وقع الفعل المضارع منصوبًا بعد حَتَّى ، فناصبه حَتَّـــى نفســـها ([1]) والأمثلة كثيرة ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

ومن مظاهر النزعة الكوفية عند الفراء أيضاً الروايات الكثيرة التـــى كان يرويها الفراء عن الكسائِيِّ ومعظمها يتعلق باللغويات ([2]) والأشـــعار ، وبالإضافة إلى ما عني به الفراء من رواية اللغة وصناعة الإعـــراب اهـــتم بتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه وإعراب ما يشكل إعرابه من آياته ورواية أحرفه وقد أخذ الفراء بعض هذه الأحرف عن الكسائِيِّ ، فقد رأيت الفـــراء يروى قراءات عن الكسائِيَّ ثم يوجهها ([3]) ، وألفيت الفراء يستحسنُ قراءتين للكسائِيِّ هما :

القراءة الأولى : قال الفراء : " قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ ([4]) قرأها عاصم والأعمش والحسن : إِنَّهُ – بكسر الألف – وقـــرأ أبو جعفر المدنِيِّ ونافع (أَنَّهُ) فَمَنْ كسر استأنف وَمَنْ نصـــب أراد : كُنَّـــا

([1]) انظر : معانِيْ القرآن ١٣٢/١ .

([2]) انظر : معانِيْ القرآن ٢٣/١ ، ٥٩ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٨٢ ، ٣٢٣ ، ٤٢٤ ، ١٥/٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٤٣ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٩٩/٣ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ .

([3]) انظـــر : معـــانِيْ القـــرآن ١٨٨/٢، ٢٦٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠.

([4]) سورة الطور من الآية رقم ٢٨ .

نَدْعُوهُ بِأَنَّهُ بَرٌّ رَحِيْمٌ ، وهو وَجْهٌ حَسَنٌ قال الفراء : الكسائِيُّ يفتح (أَنَّهُ) وأنا أكسر ، وَإِنَّمَا قُلْتُ : حَسَنٌ لأَن الكسائِيَّ قَرَأَهُ (١) " أ هـ .

القراءة الثانية : قال الفراء : " كان الكسائِيُّ يخفف : ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴾ (٢) لأَنَّهَا ليست بمقيدة بِفِعْلٍ يصيرها مصدرًا ، وَيُشَدِّدُ : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ (٣) لأَنَّ كذبوا يُقَيِّدُ الكِذَّابَ بالمصدر ، والذي قال حَسَنٌ ، ومعناه : لا يسمعون فيها لَغْوًا يقول : بَاطِلاً ، وَلاَ كِذَابًا لاَ يُكَذِّبُ بعضهم بَعْضًا (٤) " أ هـ .

وهناك قراءات للكسائِيِّ نقلها عنه الفراء ولم يوجهها (٥) وللكسائِيِّ آراء نحوية نقلها عنه الفراء ولم يُعَقِّبْ عليها بكلمة (٦) .

---

(١) معانِيْ القرآن ٩٣/٣ ، راجع توجيه القراءتين فِيْ : الكشف عن وجوه القرءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أَبِيْ طالب القيسيِّ ٢٩١/٢ ، ٢٩٢ ، وحجة القراءات لأَبِيْ زرعة ص ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ / أحمد بن محمد البنا تح د / شعبان محمد إسماعيل ٤٩٦/٢ ، ٤٩٧ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٢) سورة النبأ الآية رقم ٣٥ ، قرأ الكسائِيُّ : كِذَابًا بالتخفيف ، وقرأ الباقون بالتشديد ، انظر توجيه القراءتين فِيْ حجة القراءات لأَبِيْ زرعة ص ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأَبِيْ محمد مكى بن أَبِيْ طالب القيسيِّ تح د / محيي الدين رمضان ٣٥٩/٢ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

(٣) سورة النبأ آية رقم ٢٨ .

(٤) معانِيْ القرآن ٢٢٩/٣ .

(٥) انظر : معانِيْ القرآن ٢٠٠/١ ، ٢٣٥/٢ ، ٢٣٦ ، ٣٩٨ ، ٩٣/٣ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) انظر : معانِيْ القرآن ٣٦٩/١ ، ٣٧٠ ، ٨١/٢ ، ١٠١ ، ١٧٣ ، ٢٩٦ ، ١٨٦/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ .

* الموقف الثانى : خالف الفراء الكسائِىّ فِيْ آرائه كثيرًا ، بل تجاوز الفراء حَدَّ المخالفة إلى مناقشته والتعقيب عليه ، وليس من غرض الفــراء – فيما يظهر ليْ – تَصَيُّدُ الأخطاء للكسائىّ والتعقيب عليه ، بل كان هدفه بيان جهة الصواب فِيْ مسائل وثيقة الصلة بتفسير القرآن الكريم وتوضيح معاني ألفاظه وضبط أحرفه وإعراب كلماته ، ومن هذا المنطلق جاءت تعقيباته على الكسائِيّ لكن الفراء لم يكن على حقّ في كل تعقيباته ، بل نبا به القلــم فِــيْ بعضها وإليك أمثلة من تعقيبات الفراء على الكسائِيّ :

١- أعرب الكسائيُّ (هو) في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُــوَ اللَّــهُ أَحَــدٌ ﴾ (١) عِمَادًا، وَاللَّهُ : مبتدأ ، وَأَحَدٌ : خبره ، عقَّبَ الفراء على رأى الكســائِيّ فقال:... قد قال الكسائِيُّ فيه قَوْلاً لاَ أَرَاهُ شَيْئًا قال : هُوَ(٢) عُمَادٌ "أ هــ.

٢- أجاز الكسائِيُّ جر (إِلَهٍ وَاحِدٍ) من قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَــهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٣) على أنه صفة لِــ (مِنْ إِلهٍ) وَإِلاَّ في الآية بمعنى غير وليست للاستثناء ، عَقَّبَ الفراء على رأي الكسائِيّ فقال : " لــيس ذلــك بشئ (٤) " أ هــ .

٣- أجاز الكسائِيُّ تقديم الاسم المنصوب بجواب الجزاء المجزوم عليه نحو : إِنْ تَأْتنى خيرًا تُصِبْ ، عَقَّب الفراء على رَأْي الكسائِيّ فقال : " ليس ذلك كما قال ... (٥) " أ هــ .

---

(١) سورة الإخلاص آية رقم ١ ..

(٢) معانِيْ القرآن ٢٩٩/٣ .

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ٧٣ .

(٤) معانِيْ القرآن ٣١٧/١ .

(٥) معانِيْ القرآن ٤٢٢/١ .

٤- قرأ الكسائِيُّ بضم تاء عَلِمْتُ من قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنـــزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) عَقَّبَ الفراء على قراءة الكسائِيِّ السبعية فقال : " أُخَالِفُهُ أَشَدَّ الخِلاَفِ (٢) " أ هـــ .

٥- عاب الكسائِيُّ قراءة ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ (٣) لأَنَّهُ وجد (فَلْتَفْرَحُواْ) قليلاً فجعله عَيْبًا ، عَقَّبَ الفراء على تعييبه الكســائِيِّ لهذه القراء فقال : " فَلْتَفْرَحُوا هو الأصل ، ولقد سَمِعْتُ عن النبيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قال فِيْ بعض المشاهد : " لِتَأْخُذُوا مَصَافَّكُمْ " يريـــد بـــه خُـــذُوا مَصَافَكُمْ (٤) " أ هـــ .

٦- لم يُجَوِّزْ الكسائِيُّ رفع (فَيِكُوْنُ) فِيْ سورة النحل الآية رقم ٤٠ ، ويس الآية رقم ٨٢ ، وإليك الآيتين على الترتيب ، قال الله تعـــالى : ﴿ إِنَّمَـــا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، وقـــال جَـــلَّ وَعَـــزَّ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

فالكسائِيُّ كان يَرُدُّ رفع (فَيَكُوْنُ) فِيْ النحل ويس (٥) ويـــذهب إلـــى النسق أىْ أَنَّ (فَيَكُوْنَ) فِيْ السورتين منصوبة بالعطف على " أَنْ تَقُوْلَ لَـــهُ كُنْ " فى النحل ، وعلى " أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ " فِيْ يس .

---

(١) سورة الإسراء من الآية رقم ١٠٢ .
(٢) معانِيْ القرآن ١٣٢/٢ .
(٣) سورة يونس من الآية رقم ٥٨ .
(٤) معانِيْ القرآن ٤٦٩/١ ، ٤٧٠ بتصرف .
(٥) انظر : معانى القرآن ٧٤/١ ، ٧٥ ، ١٠٠/٢ .

عَقَّبَ الفراء على رأي الكسائِيِّ فقال : " الرفع جائز علـــى أنْ تَجعـــل (أَنْ نَقُولَ لَهُ) كلامًا تَامًا ، ثم تخبر بأنه سيكون ، كما تقول للرجل : إِنَّمَـــا يكفيه أَنْ آمره ، ثم تقول : فيفعل بعد ذلك ما يؤمر (١) " أ هـــ .

وقال : " أكثر القُرَّاء على رفعهما والرفع صواب ، وذلـــك أَنْ تجعـــل الكلام مكتفياً عند قوله : " إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ " فقد تم الكـــلام ، ثـــم قال : فسيكون ما أراد الله وإِنَّهُ لأَحَبُّ الوجهين إِلَيَّ " (٢) .

٧- زعم الكسائِيُّ (٣) أَنَّ العرب تستحب فتح ياء المتكلم التي بعدها همْـــزة قطع مفتوحة مثل قول الله تعالى : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ ﴾ (٤) وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ ﴾ (٥) عَقَّبَ الفراء علـــى رَأْيِ الكســـائِيِّ فقال : " لَمْ أَرَ ذلك عند العرب رأيتهم يرسلون الياء فيقولـــون : عِنْـــدِيْ أَبُوكْ ، ولا يقولون : عنْدَيَ أَبُوكْ بتحريك الياء ، إلاَّ أَنْ يتركوا الهمز ، فيجعلون الفتحة في الياء في هذا ومثله (٦) " أ هـــ .

٨- وَجَّه الكسائِيُّ رفع الصابئين فِيْ قوله الله تعـــالى : ﴿ إِنَّ الَّـــذِينَ آمَنُـــواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِـــلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٧) الصَّابِئُونَ مرفوع لأَنَّـــهُ

---

(١) معانِيْ القرآن ٢/١٠٠ بتصرف .
(٢) معانِيْ القرآن ١/٧٥ .
(٣) انظر : معانِيْ القرآن ١/٢٩ .
(٤) سورة يونس من الآية رقم ٧٢ .
(٥) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٨ .
(٦) معانِيْ القرآن ١/٢٩ .
(٧) سورة المائدة آية رقم ٦٩ .

معطوف على الفاعل وهو واو الجماعة فِيْ (هَادُوا) وَهَـادُوا بمعنـى تَابُوا ورجعوا إلى الحق ، ويجعله من قول الله تعـالى : ﴿ إِنَّـا هُـدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (١) لا من اليهودية .

عَقَّبَ الفراء على رَأي الكسائِيِّ فقال : " جاء التفسير بغير ذلك لأَنَّـهُ وصف الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ثم ذكر اليهـود والنصـارى فقال : مَنْ آمَنَ فَلَهُ كذا فجعلهم يَهُوْدًا ونصارى (٢) " أ هـ.

٩- في " فَصُرْهُنَّ " مِنْ قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فَخُـذْ أَرْبَعَـةً مِّـنَ الطَّيْـرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ (٣) قراءتان سبعيتان ؛ فَصُرْهُنَّ بضم الصاد وكسرها ، وَقَدْ فَسَّر الكسائِيُّ القراءتين أَنَّهُمَا بمعنى قطِّعْهُنَّ ويقال وَجِهْهُنَّ .

عَقَّبَ الفراء على تفسير الكسائِيِّ للقراءتين فقال : " لَمْ نَجِـدْ قَطِّعْهُـنَّ معروفة من هذين الوجهين ولكنى أرى – والله أعلم – أَنَّهَا إذا كانت من ذلك أَنَّهَا من صَرَيتُ تَصْرِى قُدِّمَتْ يَاؤها كما قالوا : عِثْتُ وعَثَيْتُ (٤) " أ هـ .

- وهناك تعقيب للفراء على الكسائِيِّ نقله الشيخ عبد القادر البغدادي عـن أبي حَيَّانَ الأندلسيِّ :

قال الشيخ عبد القادر البغداديُّ : " رأيت فِيْ تذكرة أبـي حيـان مـا نَصُّهُ : قال الفراء : مَنْ قال : قَضِيَّةٌ وَلاَ أَبَا حَسَنٍ لها ، لا يَقُوْلُ : " وَلاَ أَبَـا الحَسَنِ لها ، بالألف واللام ؛ لأَنَّهَا تُمَحِضُ التعريف في ذا المعنـى وتبطـل مذهب التنكير ، وقال : إِنَّمَا أجزنا لاَ عَبْدَ اللهِ لَكَ بالنصـب ، لأَنَّـهُ حـرف

---

(١) سورة الأعراف من الآرية قم ١٥٦ .

(٢) معانِيْ القرآن ٣١٢/١ .

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ٢٦٠ .

(٤) معانِيْ القرآن ١٧٤/١ .

مستعمل يقال لكل أحَدٍ عَبْدَ اللهِ ، ولا نجيز لا عَبْدَ الرحْمَنِ ولا عبد الـــرحيم لأنَّ الاستعمال لم يلزم هذين كلزومه الأوّل ، وكان الكســـائِيُّ يقــيس عبـــد الرحمن وعبد العزيز على عبد الله وما لذلك صِحَّةً (١) " أ هـــ .

- حكيت أقوال عن الفراء تدل من طرف خَفِيٍّ على أنَّ الكسائِيَّ ضعيف في النحو منها :

(أ) حكى ياقوت الحَمَوِيُّ قال : " قال أبو العباس ثعلب : حدثني سلمةُ قال : قال الفراء : مات الكسائِيّ وهو لا يُحْسِنُ حَدَّ نِعْمَ وَبِـــئْسَ وَلاَ حَـــدَّ أَنَّ المفتوحةَ وَلاَ حَدَّ الحكايةِ ، قال : فقلت لسلمة : فكيف لم يِنـــاطره فِـــيْ ذلك ؟ فقال سألته ذلك ، فقال : أشفقت أنْ أحادثه فيقـــول فِـــيَّ كلمـــة تُسقِطُنِيْ فَأَمْسَكْتُ (٢) " أ هـــ .

(ب) حكى عن الفراء أنه قال : " إنَّمَا تَعَلَّمَ الكسائِيُّ النحو على كِبَرٍ ، وسببه أنه جاء إلى قوم من الهَبَّارِيْنَ وقد أَعْيا ، فقال لَهُمْ : قَدْ عَيَّيْتُ فقالوا له :أَتُجَالِسُنَا وأَنْتَ تَلْحَنُ ؟ فقال : كَيْفَ لَحَنْتُ ؟ قالوا : إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ من انقطاع الحيلة والتَّحَيُّرِ فى الأمر فَقُلْ : عَيِيْتُ مُخَفَّفًا ، وإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ من التَّعَبِ فَقُلْ : أَعْيَيْتُ ، فَأَنِفَ مِنْ هذه الكلمة ، ثم قام مِنْ فَوْرِهِ ذلـــك فسأل مَنْ يُعَلِّمُ النَّحْوَ ؟ فأرشدوه إلى معاذ الهراء فلزمه حتّى أنفـــد مـــا عنده ، ثم خرج إلى البصرة فَلَقِيَ الخليل وجلس في حلقته ، ثـــم ســـأل الخليل مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هذا ؟ فقال من بـــوادى الحجـــاز ونجـــد وتهامة ، فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قَنِينَةٍ حِبْرًا فِيْ الكتابة عن

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ / عبد القادر بن عمـــر البغـــداديّ ٩٨/٢ طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٢٩٩ هـــ نشر دار صادر ببيروت .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحمويّ ١٨٥/١٣ طبع دار الفكر ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م .

العرب سوى ما حفظ ، فلم يكن له هَمٌّ غير البصرة والخليل ، فوجد الخليل قد مات ، وقد جلس في موضعه يونس بن حبيب البصريّ فَمَرَّتْ بينهما مسائل أَقَرَّ له يونس فيها وصدره موضعه (١) " أ هـ .

هذا وقد مَنَّ عَلَىَّ الحنَّانُ المَنَّانُ بالظفر بإحدى عشرة مسألة فى(معانِي القرآن) عقَّب فيها الفراء على رأي الكسائِيِّ ، وكانت تعقيبات الفراء قاسية لا تليق بحال الفراء ولا بطهارة لسانه ، مثل قوله فِيْ إعراب قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) : " قد قال الكسائِىُّ فيه قَوْلاً لاَ أَرَاهُ شَيْئًا قال : هُوَ عِمَادٌ (٣) " أ هـ.

وقوله : " لَيْسَ ذلك بِشَيءٍ (٤) " و " لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ (٥) ... " و " جَاءَ التفسير بغير ذلك (٦) " و " لَمْ أَرَ ذلك عند العرب (٧) " و " لَيْسَ يَدْخُلُ على الكسائِيِّ ما أُدْخِلَ على نفسه (٨) " و " أُخَالِفُهُ أَشَدَّ الخِلاَفِ (٩) " إلى غير ذلك من العبارات القاسية .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادىّ ٤٠٤/١١ ، ومعجم الأدباء ١٦٨/١٣ ، ١٦٩ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطيّ ٢٥٧/٢ ، ٢٥٨ .

(٢) سورة الإخلاص آية رقم ١ ..

(٣) معانِيْ القرآن ٢٩٩/٣ .

(٤) انظر : معانِيْ القرآن ٣١٧/١ .

(٥) انظر : معانِيْ القرآن ٤٢٢/١ .

(٦) انظر : معانِيْ القرآن ٣١٢/١ .

(٧) انظر : معانِيْ القرآن ٢٩/١ ، ٣٠ .

(٨) انظر : معانِيْ القرآن ٣٢/١ .

(٩) انظر : معانِيْ القرآن ١٣٢/٢ .

وقد رتبت هذه المسائل بحسب ترتيبها فى (معاني القرآن) مَبْتَدِئًا بسورة القرة ومنتهياً بسورة الإخلاص ، لكي يسهل علي مَنْ أراد الرجوع إليها تتبع ذلك وأيضاً لأَنَّ هذه المسائل لا يجمعها إلاَّ جامع واحد هو تخطئـــة الكســـائِيِّ وإعنائه.

وإليك أَيُّها القارئ الكريم هذه المسائل الإحدي عشرة مشفوعة بتقدمي لها بتمهيد موجز ثم أدلف إلي المسألة فأشرحها شرحًا وافيا شافيا ، ثم أوضح رأي الفراء والكسائِيِّ فيها .

ولم يفتني أَنْ أضمخَ البحث بذكر رأييْ الخاصَ ، ثم التعقيـــب علـــى النحاة وَلاَ سِيَّمَا الفراء إِنْ سنحت الفُرْصَةُ بذلك .

وإليك المسائل الإحدى عشرة .

المسألة الأولى

ياء ضمير المتكلم بين الفتح والسكون

ياء النفس من الضمائر المشتركة بين مَحَلَّيْ النصب والجر فتنصب واحد من ثلاثة عوامل بالفعل واسم الفعل والحرف ، وتجر بواحد من اثنين بالحرف والاسم، نحو قول الله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (١) ونحو دَرَاكِنِيْ بمعني أَدْرِكْنِيْ ، ونحو قول الله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ (٢) ونحو قوله : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (٣) ونحو قوله : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ (٤) وياء المتكلم زائدة آخر الكلمة أَبَدًا ، وهي اسم ويطرد فيها الإسكان والفتح فِيْ غير النداء ، وهما لهجتان فاشيتان في القرآن الكريم وكلام العرب والإسكان فيها هو الأصل الأول ؛ لأَنَّهَا مبنية والأصل فِيْ البناء السكون ؛ لأَنَّهُ أخف من الحركة ، وإسكان ياء المتكلم أكثر فِيْ الاستعمال إذا لم يلزم اجتماع الساكنين ، وذلك لعدم الاحتياج إلى حركتها لوقوعها أبدًا بعد كلمة أخرى فلا يبتدأ بها مع كونها حرف علة (٥) .

والفتح أصل ثَانٍ لأَنَّهُ اسم علي حرف غير مرفوع فَقُوِيَ بالحركة (٦)، وكانت الحركة فتحة ؛ لأَنَّ الفتحة أخف الحركات ؛ لِأنها تخرج مع النفس بلا

---

(١) سورة الشعراء الآية رقم ٨٥ .
(٢) سورة النساء من الآية رقم ٧٣ .
(٣) سورة القصص من الآية رقم ٣٤ .
(٤) سورة الكهف من الآية رقم ٧٦ .
(٥) انظر : شرح الكافية في النحو للعلامة / رَضيّ الدين الاستراباذيْ ١٤٧/١ طبع الشركة الصحافية العثمانية سنة ١٣١٠هـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت لبنان .
(٦) انظر : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة / أحمد بن محمد البنا تح د / شعبان محمد إسماعيل ٣٣٣/١ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

علاج ([1]) ولم يحركوا ياء المتكلم بالكسرة ، لأَنَّهُمْ لو حركوها بالكسرة والحرف الذي قبلها لا يكون إلاَّ مكسورًا إذا كان مِمَّا يحرك لاجتمع كسرتان ، وياء عليها كسرة ثقيلة جِدًّا ، ولم يحركوا ياء النفس بالضمة لأَنَّهُمْ لو أعطوها الضم لاجتمع عليها ما هو أقل من الكسرة فكان تحريها بالفتح أولى ، إذْ لاَبُدَّ من حركة تقويها والفتح فيها أقوى وأفصح ؛ لأَنَّهُ أصل ثَانٍ لها ولخفة الفتحة ، ولأَنَّ العرب تأتي بهاء السكت بعد ياء المتكلم لِتَثْبُتَ حركتها في الوقف ، فإذا كان العرب يحرصون على بقاء الحركة في الوقف فثباتها في الوصل آكد ، فَمِنْ ذلك إدخالهم الهاء في قوله تعالى : ﴿ لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * ولَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * مَا أَغْنَى عَنِّيْ مَالِيهْ ﴾ ([2]) أ هـ .

حِرصًا على بيان حركة الياء في الوقف ، إِذْ كانت اسمًا على حرف واحد فألزم الحركة في الوقف والوصل لتقوى ([3]) .

* * * *

قال الفراء : قوله : ﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ... ([4]) ﴾ أَمَّا نصب الياء مِنْ (نِعْمَتِىَ) فَإِنَّ كل ياء كانت من المتكلم فَفِيْهَا لغتان [الإرسال أَيْ السكون] ([5]) والفتح ، فإذا لقيتها ألف ولام اختارت العرب

([1]) انظر : اللامات للزجاجي تح د / مازن المبارك ص ٩ الهامشية بدمشق ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

([2]) سورة الحاقة الآيات رقم ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ .

([3]) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للعلامة / مكيّ بن أبي طالب القيسيّ تح د / محي الدين رمضان ١/٣٢٤ ، ٣٢٥ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

([4]) سورة البقرة من الآية رقم ٤٠ .

([5]) العبارة التي بين معقوفين في النسخ المطبوعة (الإرسال والسكون) وهي خطأ لأَنَّ =

اللغة التى حركت فيها الياء وكرهوا الأخرى ، لأنَّ اللام ساكنة فتسقط اليـــاء عندها لسكونها ، فاستقجوا (١) أنْ يقولوا نِعْمَتِيْ الَّتِيْ ، فتكون كأنَّها مخفوضة على غير إضافة فأخذوا بأوثق الوجهين وَأَبْيَنِهِمَا ، وقد يجوز إسكانها عنـــد الألف واللام ، وقد قال الله: ﴿ يَا عِبَادِيَ (٢) الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ (٣) فقرئت بإرسال الياء ونصبها ، وكذلك ما في القرآن مِمَّا فيه ياء ثابتـــة ففيـــه الوجهان ، وما لم تكن فيه الياء لم تنصب ، وأمَّا قوله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (٤) *

= إرسال الياء هو تسكينها . انظر : معانِيْ القرآن للفـــراء ١٦/٢ ، ٣٣٢ ، وحجـــة القراءات لأبي زرعة ذيل ص ١١٢ .

(١) ما عده الفراء قبيحاً جاء في قراءة شاذة ، قرأ بن محيصن والحسن البصرىَ بإسكان الياء (نِعْمَتِيْ آلَّتِيْ) في البقرة آية رقم ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ ، وقرآ بتسكين الياء فـــي (جَاءَنِيْ البَيِّنَاتِ) غافر آية رقم ٦٦ ، انظر : الإتحاف ٣٣٩/١ ، وعن ابن محيصـــن تسكين كل ياء اتصلت بأل في جميع القرآن الكريم . انظر : الإتحاف ٣٣٩/١ ، وقرأ حمزة بن حبيب الزيات بتسكين الياء التي بعدها همزة وصل مع لام التعريـــف فـــي أربع عشرة ياءً في القرآن الكريم . انظر : النشر فى القراءات العشر لابن الجزريّ ١٧٠/٢ .

(٢) فَتَحَ ياء (يَا عِبَادَيَ) نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبـــو جعفـــر ، وسَـــكَّنَهَا الباقون . انظر : الإتحاف ٤٣٠/٢ ، ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ ، وحجة القراءات لأبيْ زرعة ص ١١٢ ، ٥٥٣ .

(٣) سورة الزمر من الآية رقم ٥٣ .

(٤) في " فَبَشِرْ عِبَادِ الَّذِيْنَ " للسوسى – تلميذ أبى عمر والبصرىَ – ثلاثة أوجه : الأول : إثبات الياء في الحالين مفتوحة وصلاً وساكنة وقفاً ، الثانى : حـــذفها فـــي الوصـــل والوقف : الثالث : إثباتها مفتوحة وصلاً وحـــذفها وقفـــاً . ويعقـــوب بـــن إســـحاق الحضرميّ البصريّ يثبت ياء عبادي وقفاً لاَ وصلاً ، والباقون يحذفونها وصلاً ووقفا. انظر :المهذب في القراءات العشر وتوجيههاً من طريق طيبة النشر د/محمد سالم محيسن ١٨٨/٢ طبع دار الأنوار الطبعة الثانية ١٣٨٩هـــ – ١٩٧٨م، والإتحاف ٤٢٨/٢ .=

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ (١) ﴾ فإنَّ هذه بغير ياء ، فلا تنصب ياؤها وَهِيْ محذوفة ، وعلى هذا يقاس كل ما في القرآن منه ، وقوله : ﴿ مَا آتَانِيَ اللَّهُ (٢) خَيْرٌ (٣) مِمَّا آتَاكُم ﴾ (٤) أ هـ .

* * * *

يرى الفراء أنَّ ياء المتكلم فيها لهجتان : السكون والفتح ؛ فإذا اتصل بياء المتكلم ألف ولام اختارت العرب فتح الياء ، وكرهوا اللهجة الثانية التي تسكن فيها الياء ؛ لأنَّ اللام ساكنة فتسقط ياء المتكلم الساكنة عند اتصالها (بِأَلْ) للالتقاء الساكنين ، فاستقجوا أنْ يقولوا : نِعْمَتِ التيْ – بكسر التاء – فتكون كلمة (نِعْمَتِ) كأنها مخفوضة علي غير إضافة إلي الياء ، لأنَّ الياء حذفت في اللفظ فليس لها أثر علي اللسان لهذا اختارت العرب تحريك الياء بالفتح ليعلم أنَّ في الكلمة ياءً أُخِذًا بأوثق اللهجتين وَأَبْيَنِهِمَا .

= وروي عن أبيْ عمر وابن كثير والأعمش عن أبيْ بكر أَنَّهُمْ قرؤوا " فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِيْنَ " بياء مفتوحة ويقفون عليها بالياء . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للعلامة / مكِيٍّ بن أبيْ طالب القيسيٍّ ٢/٢٣٨ .

(١) سورة الزمر من الآيتين رقمي ١٧ ، ١٨ .

(٢) قرأ نافع وأبو عمر وحفص وأبو جعفر " فَمَا آتَانِيَ اللهُ " بإثبات الياء مفتوحة بعد النون في الوصل ، وقرأ الباقون بكسر النون من غير ياء فَمَنْ فتح الياء فعلى أصل ما يجب لهذه الياء من الفتحة وثبتت ولم تحذف لأنَّها لا تلتقي ساكنة مع ساكن فيلزم حذفها ، ومَنْ قرأ بسكون الياء إذا أدرج يحذفها لالتقاء الساكنين ؛ الياء ولام التعريف وحذفوا في الوقف إتباعاً للمصحف .

انظر : حجة القراءات لأبي زرعة ص ٥٢٩ ، والمهذب فى القراءات العشر ٢/١٠٢.

(٣) سورة النمل من الآية رقم ٣٦ .

(٤) معانِيْ القرآن ١/٢٩ .

وفِيْ قول الفراء : " فاستقبحوا أنْ يقولوا : (نَعْمَتِ الَّتِيْ) فتكون كأنها مخفوضة علي غير إضافة " أ هـ .

نظر : لأنَّ في قول الله جلَّ وعزَّ:﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قراءتين **القراء الأولى سبعية بفتح الياء** : فقد اتفق القراء السبعة على فتح اليـاء (١) وفتح الياء جَيِّدٌ فِيْ العربية أيضاً لأنَّ لام (الَّتِيْ) بعد كلمة نِعْمَتِـيَ سـاكنة فاختير فتح الياء مع (آل) المعرفة لالتقاء الساكنين ، ولأنَّ الياء لو لم يكن بعدها ساكن كان فتحها أقوى فِيْ اللغة ويجوز أنْ تحذف اليـاء فـي اللفـظ لالتقاء الساكنين ، فتقرأ : (نِعْمَتِ الَّتِي أَنْعَمْتُ) بحذف الياء ، والاختيار إثبات الياء وفتحها لأنه أقوى فِيْ العربية وأجزلُ في اللفظ وَأَتَمُّ للثواب (٢) .

القراءة الثانية : قراءة شاذة بإسكان الياء من (نِعْمَتِـيْ) قـرأ ابـن محيض والحسن البصريُّ بإسكان ياء الإضافة من (نِعْمَتِيْ الَّتِيْ) فيْ ثلاثة مواضع بالبقرة آية رقم ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ ، وكذلك قرآ بتسكين اليـاء مـن " جَاءَنِيْ البَيِّنَاتُ " (٣) ، فقول الفراء : " فاستقجوا أنْ يقولوا : (نِعْمَتِيْ الَّتِيْ) فتكون كأنها مخفوضة على غير إضافة " أ هـ .

---

(١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسيّ ١٤٧/١ طبع دار الفكر الطبعـة الثانيـة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م وروح المعاني في تفسير القـرآن العظـيم والسـبع المثـاني للعلامة/ محمود الألوسيّ البغداديّ ٢٤٢/١ طبع دار إحياء التراث العربي ببيـروت لبنان الطبعة الرابعة ١٤٥هـ - ١٩٨٥م .

(٢) انظر : معانِيْ القرآن وإعرابه للزجاج تح د / عبد الجليل عبده شلبي ١٢٠/١ طبـع عالم الكتب ببيروت الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) سورة غافر من الآية رقم ٦٦ ، وانظر قراءة ابن محيصن البصـريّ فـيْ إتحـاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ / أحمـد بـن محمـد البنـا ٣٣٩/١ ، ٣٩٠.

نظر : لأنَّ مَنْ قرأ بسكون الياء من (نِعْمَتِيْ الَّتِيْ) إذا أدرج يحذف الياء لفظاً لالتقاء الساكنين ؛ الياء واللام ، فليس تسكين الياء قبيحاً كما زعم الفراء ، بل هو جائز ، بدليل قول الفراء نفسه : " وقد يجوز إسكانها عند الألف واللام وقد قال الله : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ (١) فقرئت بإرسال الياء ونصبها (٢) " أ هـ .

وأيضاً فيْ قول الفراء : " وكذلك ما كان في القرآن مِمَّا فيه ياء ثابتة ففيه الوجهان (٣) " أ هـ .

نظر : فياء المتكلم التي جاء بعدها ساكن لام التعريف أجمع القُرَّاءُ العَشَرةُ علي فتحها فيْ إحدى عشر كلمة فيْ ثمانية عشر موضِعًا (٤) ،

---

(١) سورة الزمر من الآية رقم ٥٣ .

(٢) معانِيْ القرآن ٢٩/١ .

(٣) معانِيْ القرآن ٢٩/١ .

(٤) قال ابن الجزريّ فِيْ النشر فِيْ القراءات العشر مراجعة الأستاذ / عليّ محمد الضبّاع (١٦٢/٢) طبع دار الكتب العلمية ببيروت لبنان : " ... الثاني : ما أجمعوا على فتحه وذلك لموجب ؛ إمَّا أنْ يكونَ بعدها سكن لام التعريف أو شبهه ، وجملته إحدي عشرة كلمة فيْ ثمانية عشر موضعاً (نِعْمَتِيَ الَّتِيْ) فيْ المواضع الثلاثة و(بلغنيَ الكِبَرُ ، وحسبيَ اللهُ) في الموضعين و(بِيَ الأعداءُ ، ومَسَّنِيَ السوءُ ، ومَسَّنِيَ الكِبَرُ ، وَوَلِيِّيَ اللهُ ، وشركائيَ الذينَ) في الأربعة المواضع ، و(أَرُوْنِيَ الذينَ ، وَرَبِّيَ الله ، وَجَاءَنِيَ البيناتُ ، ونبأنِيَ العَلِيْمُ) حركت بالفتح حملاً علي النظير فرارًا من الحذف"أهـ

وانظر : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ / أحمد بن محمد البنا تح د / شعبان محمد إسماعيل ٣٣٤/١ طبع عالم الكتب ببيروت " الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

واختلف القُرَّاءُ العَشَرةُ في تسكين ياء المتكلم وفتحها في أربع عشرة ياءً (١)، فما زعمه الفراء : أنَّ كل ياء هيّ ضمير للمتكلم وقع بعدها ألف ولام وهي ثابتة فيْ الخط واللفظ يجوز فتحها وتسكينها فيْ القرآن الكريم .

قال الفراء : " ... وعلى هذا يقال كل ما في القرآن منه (٢) " أ هـ .

في قول الفراء نظر : لأنَّ ياء المتكلم الموسومة بما ذكرته أجمع القُرَّاءُ العشرةُ على فتحها فيْ مواضع ، واختلفوا فيْ فتحها وتسكينها في مواضع ، وما نقله علماء القراءات عن القُرَّاءِ العَشرَةِ أولى وأسَدُّ من كلام الفراء لأنَّهُمْ ناقلون القراءة عَمَّنْ ثبتت عصمته عن الغلط فيْ مثله ، لأنَّ

---

(١) قال ابن الجزريّ فيْ النشر (٢/١٧٠ ، ١٧١) : " الفصل الرابع فيْ الياءات التي بعدها همزة وصل مع لام التعريف ، والمختلف فيه من ذلك أربع عشرة يَاءً في البقرة ثنتان (لَا يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ ، وَرَبِّيَ الذي يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ) وفيْ الأعراف ثنتان (حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ ، وَسَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِيْنَ) وفيْ إبراهيم (قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ) وفيْ مريم (آتَانِيَ الْكِتَابَ) وفيْ الأنبياء ثنتان (عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، مَسَّنِيَ الضُّرُّ) وفيْ العنكبوت (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) وفيْ سبأ (عِبَادِيَ الشَّكُورُ) وفي ص (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ) وفيْ الزمر ثنتان (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ ، يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) وفيْ الملك (إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ) فاختص حمزة بإسكان ياآتها كلها ، ووافقه حفص فيْ (عهدي الظالمين) وابن عامر فيْ (آياتي الذين) فيْ الأعراف ، وابن عامر والكسائيّ وروح فيْ (قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ) فيْ إبراهيم ، وأبو عمر والكسائيّ ويعقوب وخلف فيْ (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) في العنكبوت والزمر ، وانفرد الهذليّ عن النحاس عن رويس فيْ (عِبَادِيَ الشَّكُورُ) فيْ سبأ فخالف سائر الرواة ، واتفقوا على فتح ما بقي من هذا الفصل وهو ثماني عشرة يَاءً " أ هـ .

(٢) معانيْ القرآن ١/٢٩ .

قراءتهم ثبتت متواترة (١) عن أفصح الخلق سيدنا محمد بن عبد الله – ﷺ – ولو سلَّمنا جَدَلاً أنَّ قراءة القُرَّاءِ العشرَةِ ليست متواترة ، فالقُرَّاءُ أعْدَلُ وَأثْبَتُ من النحاة فكان الرجوع إليهم أولى (٢) .

---

(١) الدليل على أنَّ قراءة الأئمة الثلاثة المتممة للعشرة قراءة متواترة تلك الفتوى التيْ أفتى بها الإمام عبد الوهاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي السبكيّ الشافعيّ ابن الجزريّ ونقلها ابن الجزريّ عنه بخطه ونصها :

" الحمد لله ، القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبىّ ، والثلاث التيْ هي قراءة أبيْ جعفر ، وقراءة يعقوب ، وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر ، معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله – ﷺ – لا يكابر فيْ شئ من ذلك إلاّ جاهل ، وليس التواتر فيْ شيء منها مقصورًا على مَنْ قرأ بالروايات ، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول : أشهد أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأشهد أنَّ محمدًا رسولُ الله ، ولو كان مع ذلك عَامِيًّا جِلْفًا لا يحفظ من القرآن حرفًا .

ولهذا : تقرير طويل ، وبرهان عريض ، لا تسع هذه الورقةَ شرحُه وحظ كل مسلم ، وحقه أنْ يدين الله تعالى ويجزم نفسه بأنَّ ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين ، لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شَيْءٍ منه والله تعالى أعلم .

كتبه عبد الوهاب بن السبكىّ الشافعىّ " أ هـ .

انظر : منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزريّ ص ٥٢ ، ٥٣ – طبع ونشر مكتبة القدسىّ بالقاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزريّ ١/٤٥ ، ٤٦ .

(٢) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ١/٢٧ طبع السعادة بمصر ١٩٧٢م .

وأيضا فيْ قول الفراء : "" أَمَّا قوله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّـذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ فَإِنَّ هذه بغير ياء ، فلا تنصب ياؤها وهي محذوفة ، وعلـى هـذا يقاس كل ما فيْ القرآن منه (١) " أهـ .

نظر : فقد رُوِىَ عن أَبي عمر وابن كثير – وهما من القُرَّاءِ السبعة – والأعمش عن أبيْ بكر أنهم قـرؤوا : " فَبِشِّرْ عِبَادِىَ الَّذِيْنَ " بياء مفتوحـة ويقفون عليها بالياء (٢) .

ثم حكى الفراء رأياً للكسائيِّ فيْ ياء المتكلم فقال : " زعم الكسائِيُّ أَنَّ العرب تستحب نصب الياء عند كل ألف مهموزة سوى الألف واللام مثـل قوله : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ ﴾ (٣) و ﴿ إِنِّي أَخَافُ (٤) اللّهَ ﴾ (٥) أهـ .

ثم عَقَّبَ الفراء على رأي الكسائيِّ فقال : " لَمْ أَرَ ذلك عنـد العـرب رأيتهم يرسلون الياء فيقولون : عِنْدِيْ أَبُوْك ، ولا يقولون : عِنْـدِيَ أَبُـوْك بتحريك الياء ، إِلاَّ أَنْ يتركون الهمزة ، فيجعلوا الفتحة فيْ الياء فـيْ هـذا ومثله ، وأَمَّا قولهم : لِيَ أَلْفَانِ ، وَبِيَ أَخَوَاكَ كفيلان ، فَإِنَّهُمْ ينصـبون فـي

---

(١) معانيْ القرآن ٢٩/١ .

(٢) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكيِّ بن أبي طالب القيسيِّ ٢٣٨/٢ .

(٣) سورة يونس من الآية رقم ٧٢ ، فتح ياء المتكلم من (أَجْرِيَ إِلاَّ) نافع وأبـو عمـر وابن عامر وحفص وأبو جعفر . انظـر : النشـر ٢٨٨/٢ ، والإتحـاف ١١٨/٢ ، ٣٣٧/١ .

(٤) سورة الأنفال من الآية رقم ٤٨ ، وسورة الحشر من الآية رقم ١٦ ، فتح ياء الـنفس من (إِنِّيَ أَخَافُ) في الموضعين نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر . انظـر : النشر ٢٧٧/٢ ، ٣٨٦ ، والإتحاف ٨١١/٢ ، ٥٣١ .

(٥) معانيْ القرآن ٢٩/١ .

هذين لقلتهما فيقولون : بِيَ أَخَوَاكَ وَلِيَ أَلْفَانِ لقلتهما ، والقياس فيهما وفيما قبلهما وَاحِدٌ (١) " أهـ .

فحوى رأي الكسائِيّ أَنَّ العرب تستحب فتح الياء التي بعدها همزة قطع مفتوحة مثل قول الله تعالى : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ ﴾ .

ثم عَقَّبَ الفراء على رأي الكسائِيّ قائلاً ما معناه : لم أَرَ العرب تستحب فتح الياء التيْ بعدها همزة قطع مفتوحة ، بل رأيت العرب يسكنون هذه الياء فيقولون : عِنْدِيْ أَبُوك – بتسكين الياء – إِلاَّ فيْ كلمتين وهما : لِيَ أَلْفَان ، وَبِيَ أَخَواكَ كفيلان ، فإنَّهُمْ يحركون ياء (لِيَ) و (بِيَ) فيْ الكلام ، وأيضاً كلمة لِيَ وبِيَ مُكَوَّنَةٌ من حرفين لام الجر وياء المتكلم ، وباء الجر وياء المتكلم فلو أسكنت الياء فيْ هاتين الكلمتين خفيت ، فتبدو الكلمتان كأنهما على حرف واحدٍ .

والله أعلم

---

(١) معانيْ القرآن ١/٢٩ ، ٣٠ .

المسألة الثانية

تعقيب الفراء على الكسائِيَّ في رابط جملة النعت في قول الله تعالى

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾

مِمَّا ينعت به الجملة وللنعت بها ثلاثة شروط :

شرط في المنعوت : وهو أَنْ يكون نكرة إِمَّا لفظًا ومعنىً نحو قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ﴾ (١) فجملة (ترجعون) في موضع نصب نعت لِـ (يَوْمًا) وهو نكرة لفظًا ومَعْنًى ورابط جملة النعت بالمنعوت الضمير المجرور بِـ (فِيْ) أو نكرة مَعْنًى لا لفظًا وهو الاسم المعرَّف بأل الجنسية كقول الله تعالى :﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾(٢) فجملة (نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) فيْ محل رفع نعت لِـ (الليل) لأَنَّ الليل معرفة فيْ اللفظ نكرة فيْ المعنى إِذْ لم يقصد به ليل مُعَيَّنٌ (٣) ، وكقول عمير بن جابر الحنفىْ :

وَلَقَدْ أَمُرُّنا عَلَى اللَّئِيمْ يَسُبُّنِىْ * * * فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لاَ يَعْنِيْنِىْ (٤)

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ٢٨١ .

(٢) سورة يس من الآية رقم ٣٧ .

(٣) انظر : شرح التسهيل لابن مالك تح د / عبد الرحمن السيد ودكتور / محمد بدوى المختون ٣١١/٣ طبع هجر بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٤) انظر الشاهد فيْ كتاب سيبويه ٢٤/٣ تح/ هارون ونسبه لرجل من بنى سلول مُوَلَّدٍ ، وخزانة الأدب ١٣٧/١ ، ٥٢٨ ، ١٦١/٢ ، ١٦٦ ، ٢٩٣ ، ٤٩٧ ، ٢٣٢/٣ ، ١٠٤/٤ ، والعينيْ بذيل خزانة الأدب ٥٨/٤ ومنهج السالك للأشمونيّ ١٨٠/١ ، ٦٠/٣ ، ٦٣ والتصريح بمضمون التوضيح ١١١/٢ ، والخصائص لابن جني =

فجملة (يَسُبُّنِيْ) فيْ موضع جر نعت للئيم ؛ وهو الـــدنيء الأصـــل الشحيح النفس وصح نعته بالجملة نظرًا إلى معناه ، فَإِنَّ المعرفَ بأل الجنسية لفظه معرفة ومعناه نكرة .

وشرطان فيْ جملة النعت : **أحدهما** : أنْ تكون جملة النعت مشـــتملة على ضمير يربطها (١) بالمنعوت فيحصل اتصاف بمضمون النعت وبنـــاءً على هذا الاتصاف يحصل التخصيص للنكرة ، ولابُدَّ أنْ يكون هذا الضمير مطابقاً للمنعوت فيْ التذكير أو التأنيث وفيْ الإفراد أو التثنية أو الجمع ، وهذا الضمير الرابط قد يكون ملفوظًا به نحو قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ (٢) أو مقدرًا إمَّا مرفوع كقول ثابت بن كعب قُطْنَة :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ * * * عَارًا عَلَيْكَ وَرُبَّ قَتْلٍ عَارُ (٣)

عَارٌ خبر لمبتدأ محذوف أيْ هو ، والجملة فـــيْ محـــل جَـــرٌ صـــفة لِـــ (قَتْل) وإمَّا منصوب كقول جرير بن عطية الخطفى :

= ٣٣٠/٣ ، ٣٣٢ ، وجواهر الأدب لعلاء الدين الإربلي ص ٣٨٤ ، وأمـــاليْ ابـــن الشجريْ ٣٠٢/٢ .

(١) لابُدَّ من مراعاة هذا الضابط عند الحكم على الجملة بأنَّهَا صفة ، فيحكم على جملـــة (أصَابَتْ) فيْ قول الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ﴾ آل عمران من الآية رقم ١١٧ بأنها صفة لِـــ (رِيْحٍ) ولا يجوز أنْ تكون صفة لِـــ (صِرٌّ) لأنَّ الصِّرَّ مذكر والضمير فيْ أصابت مؤنث . انظر : إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبريْ ٨٢/١ ، إذا لم يوجد رابط يربط جملة الصفة بالموصوف فلا يجوز إعراب الجملـــة صفة .

(٢) سورة الإسراء من الآية رقم ٩٣ .

(٣) انظر شرح البيت فيْ خزانة الأدب ١٨٤/٤ – ١٨٧ ، ٦٥٦/٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠١/٢ ، والدرر اللوامع للشنقيطيْ ٧٣/١ ، ١٧/٢ ، وشرح أبيات مغنـــيْ اللبيـــب للعلامة / عبد القادر البغداديِ ١٢٦/١ .

أَبَحْتَ حِمَى تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ * * * وَمَا شَيْئٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاح (١)

فجملة : حَمَيْتَ صفة لشئٍ والرابط ضمير منصوب محذوف أَيْ حميته أو مجرورًا بفيْ إذا كان المنعوت بالجملة اسم زمان كقــول الله : ﴿ وَاتَّقُــواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾ (٢) فجملة : لا تجزيْ صفة لِــ (يَوْمًا) والرابط محذوف فيجوز أَنْ يكون تقديره : لا تجزيْ فيه ، فحــذف حــرف الجر ، فاتصل الضمير بالفعل ثم حذف الضمير فيكون الحذف بتدريج (٣) ، أَوْ عَدَّى الفعل جَزَى إلى الضمير أَوَّلاً إتساعًا (٤) .

ثانيهما : أَنْ تكون جملة النعت خبرية أي محتملة للصدق والكذب فلا يجوز النعت بالجملة الطلبية والإنشائية فلا يقال : مررت برجل أضــربه ،

---

(١) انظر شرح الشاهد فيْ الكتاب ٨٧/١، ١٣٠ تح / هارون ، وأمالي ابن الشجريْ ٥/١، ٧٨ ، ٣٢٦ وشرح أبيات مغنيْ اللبيب للبغداديّ ٤٨/١ ، ٨٣/٧ ، ٢٨٥، ٣٢٦.

(٢) سورة البقرة من الآية رقم ٤٨ .

(٣) فيْ الفتوحات الإلهية للجمل (٥٧/١) : " قوله : ﴿ لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ ﴾ أيْ لا تغنــىْ ... والجملة فيْ محل نصب صفة ليومًا ، والعائد محذوف والتقدير : لا تجزيْ فيــه ثــم حذف الجار والمجرور لأنَّ الظروف يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها ، وهذا مذهب سيبويه ، وقيل : إنَّما حذف الضمير بعد حذف حرف الجر واتصال الضمير بالفعــل فصار لا تجزيه فصار الضمير منصوبًا ثم حذف " أ هــ .

وانظر : إملاء مَا مَنَّ به الرحمن للعكبريّ ١٩/١ ، والأمالي الشجرية لضياء الــدين أبي السعادات هبة الله ٦/١ طبع الهند ١٣٤٩هــ والمحتسب لابــن جنــيْ ١٦٤/٢ ، والبرهان فيْ علوم القرآن للزركشيّ ١١٦/٣ .

(٤) فيْ معانى القرآن للأخفش (٢٥٨/١) : " قال قوم إِنَّمَا أضمر الهاء أراد (لا تجزيه) وجعل هذه الهاء اسماً لليوم مفعولاً ، كما تقول : رأيت رَجُلاً يُحِبُّ زَيْدٌ ، تريد يُحِبُّــهُ زَيْدٌ " أهــ . وانظر : البحر المحيط ١٨٩/١ ، ١٩٠ ، ومشكل إعراب القرآن لمكيّ بن أبيْ طالب ٩٣/١ .

ولا مررت بعبد بعتكه قاصدًا لإنشاء البيع ، لا الإخبار بذلك ، لأَنَّ الطلب والإنشاء لا خارِجيٌّ لهما يعرفه المخاطب فيتخصص به المنعوت ، فَإِنْ جاء عن العرب ما ظاهره أنه نعت فيه بالجملة الطلبية فَيُخَرَّجُ على إضمار القول ، ويكون القول المضمر صفة والجملة الطلبية معمول القول المضمر وذلك كقول العجاج : جَاءُوْا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّْ (١) .

فالظاهر أنَّ قوله : " هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّْ " صفة لِـ (مَذْقٍ) وهي جملة طلبية ولكن ليس هو على ظاهره بل (هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّْ) مقول لقول مضمر هو صفة لِـ (مَذْقٍ) والتقدير : بِمَذْقٍ مَقُوْلٍ فِيْهِ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّْ (٢) .

* * * *

هذا وللنحاة آراء في رابط جملة النعت فيْ قول الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً ﴾ (٣) .

الرأى الأول : يرى الفراء أنَّ جملة " لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً " فيْ محل نصب صفة لِـ (يَوْماً) والرابط محذوف فيجوز أَنْ يكون تقديره : لا تجزيْ فيه فحذف الجار والمجرور ، لأَنَّ الظروف يتسع فيها ما لا يتسع فيْ غيرها ، ويجوز أَنْ يكون العائد المحذوف الهاء والتقدير : لا تجزيه نفس ، وهذه الهاء اسم لليوم وهيْ مفعول به للفعل جَزَى على السعة ، ثم تحذف الهاء من الصفة قال الفراء : قوله : " وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن

---

(١) البيت من بحر الرجز المشطور ، راجع الشاهد فيْ شواهد العينيْ ٦١/٤ – ٦٣ ، والتوضيح ٣١٠/٣ والتصريح ١١٢/٢

(٢) انظر : التصريح بمضمون التوضيح ١١٢/٢ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٩٩/٣ ، ٢٠٠ .

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ٤٨ .

نَّفْسٍ شَيْئاً " فَإِنَّهُ قد يعود على اليوم والليلة ذكرهما مرة بالهاء وحدها ومـــرة بالصفة (١) فيجوز ذلك كقوله : لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ عَن نَّفْـــسٍ شَـــيْئاً وتضـــمر الصفة ، ثم تظهرها فتقول : لا تجزيْ فيه نفس عن نفس (٢) شيئًا " أهـــ .

وما قاله الفراء فيْ رابط جملة الصفة سبقة إليه سيبويه قال : " ... قال تعالى ﴿ يَوْماً لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ ﴾ أضمر فيه (٣) " أهـــ .

---

(١) يريد الفراء بالهاء الضمير العائد على اليوم ، ومراد الفراء بالصـــفة حـــرف الجـــر والتقدير : لا تجزيْ فيه نفس عن نفس شيئًا ، فأطلق الفراء كلمة الصفة على حـــرف الجر ، لَكِنَّ اختيار الفراء كلمة (الصفة) مريدًا بها حرف الجر ليس بدقيق لأَنَّهُ ليس من اللازم أَنْ يكون حرف الجر صفة لِمَا قبله ، فهو يكون كذلك حين يتبع النكـــرات أَمَّا حين يتبع المعارف فإِنَّ حرف الجر لا يعرب صفة ، ولهذا ضَعَّفَهُ السيوطيُّ فـــيْ الهمع إِلاَّ أَنْ يقال : إِنَّ حرف الجر يحدث صفة فيْ الاسم الذى بعده على مـــا يـــراه السيوطيُّ نفسه ، قال السيوطيُّ فيْ الهمع (١٩/٢) : " هذا مبحث حرف الجر وسميت به ؛ قال ابن الحاجب لأنها تجر معنى الفعل إلى الاسم ، وقال الرضيُّ : بـــل لأَنَّهَـــا تعمل إعراب الجر ... وتسميها الكوفيون حرف الإضافة لأنها تضيف الفعـــل إلـــى الاسم ، أيْ توصله إليه وتربطه به ، وحروف الصفات لأنها تحدث صفة فيْ الاسم ، فقولك : جلست فيْ الدار دَلَّتْ فيْ على أَنَّ الدار وعاء الجلوس وقيـــل : لأنهـــا تقـــع صفات لِمَا قبلها من النكرات " أ هـــ .

ويظهر من كلام السيوطيِّ أنه ارتضى تعليل الكوفيين الأول فيْ تسمية حروف الجـــر بحروف الصفات ؛ وهو أَنَّها تحدث صفة فيْ الاسم الذيْ بعدها ، واستضعف التعليل الثانى وهو أَنَّهَا تقع صفات لِمَا قبلها من النكرات ولذلك حكـــاه بصـــيغة التمـــريض " وقيل " .

انظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه فيْ النحو واللغـــة د / أحمـــد مكـــيٌ الأنصـــاريٌ ص ٤٥٥ ، ٤٤٦ .

(٢) معانيْ القرآن ٣١/١ ، ٣٢ .

(٣) الكتاب ٣٨٦/١ تح / هارون .

ومراده أنَّ جملة (لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ) فيْ موضع نصب صفة ليوم والعائد محذوف تقديره لا تجزيْ فيه ، ثم حذف الجار والمجرور (١) ، لأنَّ الظروف يتسع فيها ما لا يتسع فيْ غيرها ، أيْ يجوز فيها ما لا يجوز فيْ غيرها (٢) .

وأيضاً سبقه إليه أبو الحسن الأخفش : قال : " باب إضافة الزمان إلى الفعل ، قال : (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِيْ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً) فنون اليوم لأنه جعل (فيه) مضمرًا وجعله من صفة اليوم كأنه قال : " يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ فِيْهِ شَيْئاً " وإنما جاز إضمار (فِيْهِ) كما جاز إضافته إلى الفعل ، تقول : هَذَا يَوْمُ يَفْعَلُ زَيْدٌ ، وليس من الأسماء شيءٌ يضاف إلى الفعل غير أسماء الزمان ، ولذلك جاز إضمار (فيه) ، وقال قوم : إنَّمَا أضمر الهاء أراد [لاَّ تَجْزِيهِ] وجعل هذه الهاء اسمًا لليوم مفعولاً ، كما تقول : رَأَيْتُ رَجلاً يُحِبُّ زَيْدٌ تريدُ يُحِبُّهُ زَيْدٌ (٣) " أ هـ .

الرأي الثانيْ : يرى الكسائيُّ أنَّ جملة (لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً) فيْ محل نصب صفة لِـ (يَوْمًا) ورابط جملة الصفة بالموصوف ضمير

---

(١) انظر : إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١٩/١ ، والفتوحات الإلهية للجمل ٥٧/١ طبع العامرة بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٢٩٣هـ .

(٢) لأنَّ كل شَيْءٍ من المحدثات لابُدَّ أنْ يكون فيْ زمان أو مكان فصارت مع كل شئ كقريبه ولم تكن أجنبية منه فدخلت حيث لا يدخل غيرها كالمحارم يدخلون حيث لا يدخل الأجنبيُّ وأجريَ الجار مجراه لمناسبة بينهما إذْ كُلُّ ظرف فيْ التقدير جار ومجرور ، والجار محتاج إلى الفعل أو معناه كاحتياج الظرف .
انظر : شرح الكافية للرضيِّ ١١١/١ .

(٣) معانيْ القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخيِّ المجاشعيِّ تح د / عبد الأمير محمد أمين الورد ٢٥٨/١ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

اليوم وهو منصوب على المفعول فيْ السعة كَأَنَّكَ قُلْتَ : (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً) ثم تحذف الهاء من الفعل إذْ كان فيْ موضع النعت لأَنَّهُ مع المنعوت كالصلة مع الموصول ، وَحَذْفُ الهاء من الصفة يَحْسُنُ كما يَحْسُنُ حذفها من الصلة ، أَلاَ تَرَى أَنَّ الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلك على الموصول ولا يجوز عند الكسائِيِّ أَنْ يكون التقدير يَوْمًا لا تجزيْ فيه نفس ، لأَنَّ الظروف عنده لا يجوز حذفها ، قال : لا يجوز أَنْ تقول : هذا رَجُلٌ قَصَدْتُ ولا رأيتُ رَجُلاً أَرْغَبُ ، وأنت تريد قصدت إليه وأرغب فيه ، قال ، ولو جاز ذلك لجاز الذي تَكَلَّمْتُ زَيْدٌ بمعنى تكلمت فيه زيدٌ (١) لأَنَّ حرف الجر غير متعين (٢) .

قال الفراء حاكياً رأي الكسائِيِّ : " كان الكسائِيُّ لا يجيز إضمار الصفة فيْ الصلات ويقول : لو أَجَزْتُ إضمار الصفة ها هنا لأَجَزْتُ : أنت الذيْ تكلمت ، وأنا أريد الذيْ تكلمت فيه (٣) " أهـ .

* * * *

ثم عَقَّبَ الفراء على رأي الكسائِيِّ فقال : " ليس يدخل على الكسائِيِّ ما أدخل على نفسه ، لأَنَّ الصفة فيْ هذا الموضع والهاء مُتَّفِقٌ معناها ، ألا ترى أَنَّكَ تقول : آتيك يوم الخميس وفيْ يوم الخميس ، فترى المعنى واحدًا وإذا

---

(١) راجع رأي الكسائِيِّ فى معانيْ القرآن للأخفش ٢٦٠/١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبيِّ ٣٢٢/١ ، والبحر المحيط ١٩٠/١ .

(٢) راجع روح المعاني للألوسيِّ ٢٥١/١ .

(٣) معانيْ القرآن للفراء ٣٢/١ .

قُلتَ : كَلَّمْتُكَ كان غير كَلَّمْتُ فيك ، فَلَمَا اختلف المعنى لم يجز إضمار الهاء مكان (فيْ) ولا إضمار (فيْ) مكان الهاء (١) " أهـ .

فحوى تعقيب الفراء على رأي الكسائِيّ ، أنَّ ما قاله الكسائِيُّ ليس بلازم لأنَّ الصفة أيْ حرف الجر ، والضمير أيْ الهاء متفق معناهما فيْ الآية الكريمة ألاَ ترى أنَكَ تقول : آتيك يَوْمَ الخميس وفيْ يوم الخميس فترى المعنى وَاحِدًا فقولك : آتيك يَوْمَ الخَمِيْسِ ؛ يَوْمَ الخميس منصوب على الظرفية على تقدير فيْ ، وذلك لأنَّ الظرفية معنى زائد على الاسم ، فَعُلِمَ أنَّ ثَمَّ حَرْفًا أفاد معنى الظرفية ، وليس هناك حرف هذا معناه سوى (فيْ) ولذلك فهي مقدرة مرادة وإنْ لم تلفظ بها (٢)، وقولك آتيك فيْ يوم الخميس ، (فيْ يوم الخميس)فيْ موضع نصب ، والجار والمجرور والمضاف إليه (فيْ يوم الخميس) متعلق بآتيك فهذا يؤذن بأنه فيْ موضع نصب لأنَّهُ كأنه مفعول به فيْ المعنى للفعل آتيك ، ولذلك قال سيبويه : إنَّكَ إذَا قُلْتَ : مَرَرْتُ بِزَيْدٍ فكأنَّك قُلْتَ : مَرَرْتُ زَيْدًا (٣) .

وحرف الجر (فيْ) أحدث صفة فيْ الاسم الذيْ بعده (يَوْمَ الخميس) ولذلك فتقدير الرابط فيْ جملة الصفة " لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً " فيه أو الهاء ، أيْ لا تجزى فيه أو لا تجزيه واحد من حيث المعنى ، لأنَّ حرف الجر مُتَعَيِّنٌ ، أمَّا إذَا لم يَتَعَيَّنْ حرف الجر فلا يجوز إضمار (فيْ) مكان الهاء ، ولا إضمار الهاء مكان (فيْ) .

---

(١) معانيْ القرآن للفراء ١/٣٢ .

(٢) انظر : شرح المفصل للعلامة / يعيش بن علىّ بن يعيش ٢/٤٥ نشر مكتبة المتنبيْ بالقاهرة .

(٣) انظر : الكتاب ١/٩٢ تح / هارون .

فَإذا قُلْتَ : كَلَّمْتُ زَيْدًا ، وتَكَلَّمْتُ فيْ زَيْدٍ ، فالمعنيان مختلفان فلهذا لم يجز الحذف فينقلب المعنى ، فلا يجوز فيْ قولك : تَكَلَّمْتُ فيْ زَيْدٍ ، تَكَلَّمْتُ زَيْدًا (١) .

---

(١) انظر : معانيْ القرآن وإعرابه للزجاج ١/١٢٨ ، ١٢٩ وإعراب القرآن لأبيْ جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس تح د / زهير غازي زاهد ١/٢٢١ ، ٢٢٢ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

المسألة الثالثة

توجيه القراءات

فيْ قول الله تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾

ورد قول الله تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ فيْ ثمانية مواضع فيْ القرآن الكريم :

١- ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (١) .

٢- ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٢) .

٣- ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٣) .

٤- ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٤) .

٥- ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٥) .

٦- ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٦) .

٧- ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٧) .

٨- ﴿ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٨) .

اتفق القُرَّاءُ العَشَرَةُ على رفع (فَيَكُونُ) في مَوْضعين :

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١١٧ .

(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ٤٧ .

(٣) سورة آل عمران من الآية رقم ٥٩ .

(٤) سورة الأنعام من الآية رقم ٧٣ .

(٥) سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

(٦) سورة مريم من الآية رقم ٣٥ .

(٧) سورة يس من الآية رقم ٨٢ .

(٨) سورة غافر من الآية رقم ٦٨ .

الأول : ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (١) .

الثانى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ (٢)

وقرأ الحسن البصريُّ (فَيَكُونَ) بفتح النون وهذه قراءة شاذة (٣) أمَّا آية آل عمران رقم ٥٩ فإنَّ معناها : كُنْ فَكَانَ ، وأمَّا آية الأنعام فمعناها الإخبار عن يوم القيامة وهو كائن لا محالة ولكنه لَمَّا كان ما يرد فيْ القرآن من ذكر يوم القيامة بلفظ الماضى كثيراً نحو ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانشَقَّتِ السَّمَاء ﴾ ونحو ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ ونحو ذلك فشابه ذلك الرفع ولاشك أنه إذا اختلفت المعانى اختلفت الألفاظ (٤) واختلفوا فيْ ﴿ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ فيْ المواضع الستة الباقية .

فقرأ عبد الله بن عامر بنصب نون (فَيَكُوْنَ) فيْ البقرة آية ١١٧ ، وآل عمران آية ٤٧ ، والنحل آية ٤٠ ، ومريم آية ٣٥ ، ويس آية ٨٢ ، وغافر آية ٦٨ ووافقه الكسائىّ فيْ النحل ويس .

ولَمَّا لم يظهر لأبيْ بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد وجه قراءة نصب (فَيَكُوْنَ) لابن عامر سارع إلى تلحينها .

قال فيْ آية البقرة ١١٧ : " قرأ ابن عامر وحده " كُنْ فَيَكُوْنَ " بنصب النون وهو غلط " (٥) .

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام من الآية رقم ٧٣ .

(٣) انظر الإتحاف ٤١٣/١ .

(٤) انظر : النشر فيْ القراءات العشر لابن الجزرىّ ٢٢٠/٢ .

(٥) السبعة فيْ القراءات لابن مجاهد ت د / شوقيْ ضيف ص ١٦٩ طبع دار المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

وقال فيْ آية آل عمران ٥٩ : " قرأ ابن عامر وحده " كُــنْ فَيَكُــوْنَ " بالنصب قال أبو بكر وهو وَهَمٌ " (١) .

وقال فيْ آية مريم ٣٥ : " قرأ ابن عامر وحده " كُنْ فَيَكُوْنَ " نصــبًا وهذا خطأ فيْ العربية " (٢) .

وما قاله أحمد بن موسى بن مجاهد سوء أدب بل من أقبح الخطــأ لأنَّ هذه القراءة من السبعة فهي قراءة متواترة ، ثم هي بعد قراءة ابن عامر وهو رجل عربيّ لم يكن ليلحن وقراءة الكسائى فيْ النحل آية رقم ٤٠ ويس آيــة رقم ٨٢ وهو إمام الكوفيين فيْ علم العربية فالقول بأنَّها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر ، إذْ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى (٣) وقَرَأَ القُرَّاءُ العشرةُ ما عدا ابن عامر والكسائيَّ (فيكونُ) بضم النون فى المواضع الستة الباقية (٤) .

وقد وجهت قراءة رفع (فَيَكُوْنُ) بثلاثة أوجه :

الأول : (فَيَكُوْنُ) منقطع مما قبله مستأنف فهو خبر لمبتدأ محــذوف تقديره : فهو يكونُ .

---

(١) انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٠٩ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٦٦/١ ، وروح المعانيْ فيْ تفسير القــرآن العظــيم والســبع المثانيْ للألوسيّ ٣٦٩/١ طبع دار إحياء التراث العربى ببيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

(٤) انظر : النشر فيْ القراءات العشر لابن الجزريّ مراجعة أ / على محمــد الضــباع ٢٢٠/٢ طبع دار الكتب العلمية ببيروت وإتحاف فضلاء البشر بــالقراءات الأربعــة عشر للعلامة الشيخ / أحمد بن محمد البنا بتحقيــق د / شــعبان محمــد إســماعيل ٤١٣/١.

قال سيبويه : " ... ومثله كُنْ فَيَكُوْنُ ، فَكَأَنَّهُ قال : إِنَّمَا أمرنا ذاك فَيَكُوْنُ (١) " أهـ .

قال السيرافيُّ فيْ شرح هذه الجملة : " فيكونُ ليس بجواب لِكُنْ ، لِأَنَّ الكلام الأول وجوابه جميعا من كلام واحد ، غير منقطع أحدهما من الآخر ، ولم يرد الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يقول للشئ : كُنْ فيكونُ ، وَكُنْ فيكونُ مقولان للشيء ، والذيْ قيل للشئ : كُنْ حسبُ ، ثم خَبَّرَ عنه أنه يكونُ ، فصار يكونُ كلامًا منفردًا مستأنفًا ، ودخلت عليه الفاء لأَنَّهُ عطف جملة على جملة (٢) " أهـ .

والمعنى .. والله أعلم .. ما أراده الله فهو يكونُ (٣) .

الثانى : فَيَكُوْنُ معطوف على يَقُوْلُ وهذا قول الزجاج والفراء (٤) .

الثالث : يرى أبو علىّ الفارسيّ : أَنَّ (فَيَكُوْنُ) بضم النون معطوف على " كُنْ " من حيث المعنى ، قال " أمَّا قوله : كُنْ فَإِنَّهُ وإِنْ كان لفظ الأمر فليس بأمر ولكن المراد به الخبر كَأَنَّ التقدير : يُكَوَّنُ فَيَكُوْنُ ... فَإِن قلت : فَهَلاَّ قلت : إِنَّ العطف فى قوله (فَيَكُوْنُ) على (يَقُوْلَ) دون ما قُلْتَ إِنَّهُ معطوف على (كُنْ) ... كأنه قال : فإنما يقول فَيَكُوْنُ ، قيل : ما ذكرناه أَسْوَغُ مِمَّا قلتَ وأَشَدُّ اِطِّرَادًا ... فإِنْ قُلْتَ : فَهَلاَّ قُلْتَ : إِنَّ العطف على

---

(١) الكتاب ٣/٣٩ ت هارون .

(٢) شرح السيرافيّ بذيل الكتاب ٣/٣٩ ت / هارون .

(٣) انظر : معانيْ القرآن وإعرابه للزجاج تح د / عبد الجليل عبده شلبيْ ٣/١٩٨ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

(٤) انظر : معانيْ القرآن وإعرابه للزجاج تح د / عبد الجليل عبده شلبى ١/١٩٩ طبع عالم الكتب ببيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ومعانيْ القرآن للفراء ١/٧٤ .

(كُنْ) إذا كان المراد به يُكَوِّنُهُ غير سهل ، لأَنَّ قوله : (فَيَكُوْنُ) حينئذٍ قليل الفائدة ، ألاَ ترى أَنَّ يُكَوِّنُهُ يدل على أنه يَكُوْنُ ؟ قيل له : ليس بقليل الفائـــدة لأَنَّ المعنى فَيَكُوْنُ بِتَكْوِيْنِهِ ، أَيْ بإحداثه ، لا يكون حُدُوثُهُ ووجـــوده علـــى خلاف هذا الوجه ، فإذا كان كذلك كان مفيدًا ، كما أَنَّ قولهم لأَضْرِبَنَّهُ كَائِنٌ ما كان فالرفع فيْ كائن كلام قد استعملوه وحَسُنَ عندهم وَإِنْ كان قد علم أَنَّ ما يكونُ فهو كائنٌ ، ولَكِنْ لِمَا دخله من المعنى ، أَيْ لا أُبَالِيْ بـــذلك حَسُـــنَ فاستعمل ، ولم يكن عندهم بمنزلة ما لا يفيد فيطرح ، فكذلك لَمَّا كان المعنى فى الآية يَكُوْنُ بإحداثه جاز وحَسُنَ ولم يكن بمنزلة ما لا يفيد (١) أ هـــ .

وقد وجهت قراءة ابن عامر بنصب (فيكونَ) .

بأَنَّ (فيكونَ) منصوب بأَنْ مضمرة بعد الفاء الواقعة جوابًـــا للأمـــر (كُنْ) لأنه جاء بفظ الأمر فشبه بالأمر الحقيقيّ ، وإِنْ كان معنـــاه الخبـــر فليس معناه تعليق مدخول الفاء بمدلول صيغة الأمر الذيْ يقتضيْ سببية مـــا قبل الفاء لِمَا بعدها اللازمة لجواب الأمر بالفاء ، إذْ لا معنى لقولنا : لِـــيَكُنْ منك كَوْنٌ فَكَوْنٌ ، فالداعيْ إلى الحمل على اللفظ أَنَّ الأمر فيْ (كُنْ) لـــيس حقيقياً ، ولكنه مُشَبَّهٌ بالأمر الحقيقيْ ، ولا يصح نصـــب (فيكـــونَ) علـــى جواب الأمر الحقيقيِّ ؛ لأَنَّ ذلك إنَّمَا يكون على فعلين ينتظم منهمـــا شـــرط جزاء نحو ائْتِنى فأُكْرِمَكَ ، إذْ المعنى إِنْ تَأْتِنِيْ أُكْرِمْكَ ، وهنـــا فـــيْ الآيـــة الكريمة لا ينتظم ذلك إذْ يصير المعنى : إِنْ يَكُنْ يَكُنْ ، وهذا كلام غير مفيد فلا يصح ، لأَنَّ الشيءَ لا يكون شرطاً لنفسه ، فلابُدَّ من اختلاف بين الشرط

---

(١) الحجة فيْ علل القراءات السبع لأبيْ عليّ الفارسيْ ت أ / على النجـــديْ ناصـــف ، ود/عبد الفتاح شلبيْ ٢/١٦٠ – ١٦٣ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م .

والجزاء إمَّا بالنسبة إلى الفاعل وإمَّا بالنسبة إلى الفعل فيْ نفسه أو فيْ شَيْءٍ من متعلقاته (١) .

ويكون من كان التامة بمعنى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمْرٍ وٱمتثالٍ ، بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادَتُهُ بلا مهملة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف .

بأنَّ شبهت الحالة التى تتصور من تعلق إرادته تعالى بشيْء من المكوّنات وسرعة إيجاده إيَّاهُ بحالة الآمر النافذ تصرفه فيْ المأمور المطيع الذيْ لا يتوقف فيْ الامتثال فأطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل فيْ تلك من غير أنْ يكون هناك أَمْرٌ وقَوْلٌ (٢) .

أمَّا اختصاص الكسائِيِّ لنصب (فيكونَ) فيْ النحل ويس فهو حسن قَوِيٌّ لأنَّ توجيهها عند الكسائيّ (٣) وتبعه الأخفش (٤) والزجاج (٥) وغيرهما من النحاة بِأنَّ (فيكونَ) – بفتح النون – معطوف على (أنْ نَقُولَ) و (أنْ يَقُولَ) وهذا توجيه حسن، وللزجاج توجيه ثانٍ فيْ آية النحل قال : " يجوز أنْ يكون نصب على جواب (كُنْ) فَيَكُونُ) رفع بالابتداء وخبره (أنْ نقول) المعنى : إنما قولنا لكلِ مرادٍ قولنا كُنْ ، وهذا خوطب العباد فيه بما يعقلون وما أراده الله فهو كائن على كُلِّ حالٍ، وعلى ما أراده من

---

(١) انظر : البحر المحيط لأبيْ حيان الأندلسيّ ٣٦٦/١ طبع دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، وروح المعانيْ للألوسيّ ٣٦٩/١ .

(٢) انظر : الفتوحات الإلهية للعلامة / سليمان الجمل ١١٣/١ طبع العامرة ١٢٩٣هـ .

(٣) انظر : معانيْ القرآن للفراء ٧٥/١ ، ١٠٠/٢ .

(٤) انظر : معانيْ القرآن للأخفش ت د / عبد الأمير محمد أمين الورد ٣٣٢/١ طبع عالم الكتب ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٥) انظر : معانيْ القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٨/٣ .

الإسراع (١) ... " أهـ ويفهم من نص الزجاج أنَّ (فَيَكُونَ) منصوب تشبيهاً له بجواب الأمر .

* * * *

وقد حكى الفراء عن الكسائِيِّ أنَّ الكسائيَّ كان لا يجيز رفع (فَيَكُوْنُ) فيْ آيتَيْ النحل ويس .

قال الفراء : " قوله ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ رفع ولا يكون نصبًا وإنما هِيَ مردودة على (يَقُوْلُ) [فإنما يَقُوْلُ فَيَكُوْنُ] وكذلك قوله ﴿ يَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ رفع لا غير ، وأمَّا التيْ فيْ النحل ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ وكذلك التيْ فيْ يس نصب لأنها مردودة على فعل قد نصب بأَنْ ، وأكثر القُرّاء على رفعها والرفع صواب ، وذلك أَنْ تجعل الكلام مكتفياً عند قوله " إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ " فقد تم الكلام ، ثم قال : فسيكون ما أراده الله ، وإِنَّه لأَحَبُّ الوجهين إِلَيَّ ، وإِنْ كان الكسائِيّ لا يجيز الرفع فيهما ويذهب إلى النسق (٢) " أهـ .

وقال الفراء : " قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴾ القول مرفوع بقوله (أَن نَّقُولَ) كما تقول : إِنما قولنا الحق وَأَمَّا قوله (فَيَكُوْنَ) فَهِيَ منصوبة بالردِّ على نقول ، ومثلها التيْ فيْ يس منصوبة ، وقد رفعها أكثر القُرّاءِ ، وكان الكسائيُّ يرد الرفع فيْ النحل وفيْ يس ، وهو جائز على أَنْ تجعل (أَن نَّقُولَ لَهُ) كَلاَمًا تَامًا ثم تخبر بِأَنَّهُ سيكون ، كما تقول للرجل : إِنَّمَا يكفيه أَنْ آمره ، ثم تقول : فيفعل بعد ذلك ما يؤمر (٣) " أهـ .

---

(١) انظر : معانيْ القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٨/٣ ، ١٩٩ .

(٢) معانيْ القرآن للفراء ٧٤/١ ، ٧٥ .

(٣) معانيْ القرآن ١٠٠/٢ .